مؤسسة القديس أنطونيوس
المـــركــز الأرثوذكسى
للدراســات الآبـائية بالقاهرة
نصــوص آبـائية ـ ٩٥

الـرسائل عن الروح القدس إلى الأسقف سرابيون

للقديس أثناسيوس الرسـولي

ترجمها عن اليونانية
وأعد المقدمة والملاحظات
دكتور: موريس تاوضروس ـ دكتور: نصحي عبد الشهيد
طبعة ثانية منقحة ـ نوفمبر ٢٠٠٥



اسم الكتاب : **الرسائل عن الروح القدس إلى الأسقف سرابيون**

اسم المؤلف : **القديس أثناسيوس الرسولي**

المترجمان : **الدكتور: موريس تاوضروس . الدكتور: نصحي عبد الشهيد**

الطبعة الأولى : **مايو ١٩٩٤**

الطبعة الثانية : **نوفمبر ٢٠٠٥**

الناشر : **مؤسسة القديس أنطونيوس: المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية:** ٨ شارع إسماعيل الفلكي محطة المحكمة – مصر الجديدة ت: ٢٤١٤٠٢٣

E-mail: santonio@link.net

المطبعة **دار يوسف كمال للطباعة:**

٢ شارع المدارس – المليحة – حدائق القبة ت: ٤٨٢٧٠٧٤ – ٤٨٢٦٥٧٨

رقم الإيداع :

الترقيم الدولي :

مقدمة

أولاً: تاريخ كتابة الرسائل عن الروح القدس

يرجع تاريخ هذه الرسائل إلى فترة النفي الثالث للقديس أثناسيوس بين فبراير سنة ٣٥٦م – ونوفمبر سنة ٣٦١م. ونعرف من كتـــاب، أبيفانيوس أسقف قبرص عـــن الهرطقـــات (Haer. Lxxiii-25) أن بتوليمايس "Ptolemaeus" حضر مجمع سلوكية سنة ٣٥٩م، كأسقف لــ "Thmuis" تمويس[١]، فلو أننا استنتجنا من هذا أن القديس سرابيون كان قد انتقل إلى السماء في ذلك الوقت، لكانت مشكلة تحديد تــاريخ كتابة هذه الرسائل، أسهل جدًا. ولكن هناك احتمال أنه كان في ذلــك الوقت منفيًا أو مبعدًا. كما أن هناك دليل ما يوضح أنه كان لا يــزال حيًا بعد هذا التاريخ، ففــي كتــاب "لاونتيــوس Leontius" (Adv. Froudes, Apollinaristram). هناك فقرة من خطاب مرســل مــن أبوليناريوس إلى سرابيون، يمدح رسالة أرســلها أثناســيوس إلــى كورنثوس عن التجسد. هذه الفقرة لا يمكن إلاّ أن تكون إشارة إلــى رسالة أثناسيوس إلى أبكتيتوس "Ad. Epictatus".

وللأسف فإن تاريخ هذه الرسالة يصعب تحديده. غير أنه يمكن أن نأخذ فى اعتبارنا بعض الحقائق التى توضحها الرسائل وذلك لتحديد زمن كتابة الرسائل وهى كالآتي:

[١] هي مدينة تسمى الآن "**تمي الأمديد**" بشمال الدلتا بمصر، التي كان القديس سرابيون الذي أرسل له القديس أثناسيوس هذه الرسائل، أسقفًا لها.

١ــ أن القديس أثناسيوس كان في البرية، وكان أعداؤه يبحثون عنه بتحفز (رسالة١:١).

ومن الواضح أن أثناسيوس لم يغادر الإسكندرية حتى وقت متأخر في سنة ٣٥٨م. فجدول تعييد الفصح (Festel Index)، يتحدث عنه على أنه مختفي في المدينة خلال عامي ٣٥٧م ــ ٣٥٨م وفي أواخر صيف سنة ٣٥٨م، كانت المشاعر تتصاعد بشدة ضد الآريوسيين، حتى أن البطريرك المغتصب جوارجيوس، تم طرده واستعاد الأرثوذكس ملكية الكنائس لعدة أسابيع. وعندئذ شدّد رجال السلطة قبضتهم، وفي ديسمبر من نفس العام دخل "سيبستيان Sebastian" الإسكندرية. وتتحدث الرسالة الفصحية رقم ٣٢ (Fest. Ind. xxxii) عن أن "ارتيميوس Artemius" كان يبحث عن أثناسيوس في سنتي ٣٥٩م ،٣٦٠م، ونعرف أن بحث أرتيميوس عنه أمتد حتى طيبة[٢]. ويبدو مرجحًا جدًا أن أثناسيوس يشير في هذه الرسالة إلى نشاط أرتيميوس في البحث عنه.

٢ــ لم يكن أثناسيوس محتاجًا أن يضيف شيئًا إلى ما سبق أن كتبه ضد الآريوسيين (انظر الرسالة الأولى إلى سرابيون١: ٢). وهذا يعني بالضرورة أن المقالات الثلاثة ضد الآريوسيين كانت قد كتبت قبل ذلك وانتشرت.

أما زمن كتابة هذه الرسائل عن الروح القدس فقد اختلف الباحثون

[٢] انظر حياة باخوميوس ٨٨ – Vita Pachomius 88.

في تحديده فيما بين سنة ٣٣٨م وحتى سنة ٣٥٩م.

فيرجح تشابلاند "C. R. B. Shapland"[٣] أن تاريخ كتابة الرسائل هو حوالي ٣٥٨م وليس قبل ذلك، ويعطي الأسـباب لتـرجيح هـذا التاريخ:

أ ــ أن الرسائل كتبت ضد أشـخاص كـانوا قـد انفـصلوا عـن الآريوسيين. ورغم أنه لم يحدد تاريخ انفصالهم عنهم إلا أنـه مـن المقبول أن نفترض أنه لم يحدث قبل فترة طويلة من مكاتبة سرابيون إلى أثناسيوس. مثل هذا الانفصال عن الآريوسية يتوافق تمامًا مع رد الفعل ضد سوء معاملة الأسقف الدخيل جوارجيوس الكبادوكي فـي سبتمبر ــ أكتوبر ٣٥٨م.

ب ــ ذكر الأونوميين في (رسالة٤: ٥)، يشير إلى نفـس الاتجـاه، فأثناء زيارة أونوميوس للأسكندرية سنة ٣٥٦م ــ ٣٥٨م، يبدو أنـه كان يشغل وضعًا ثانويًا كسكرتير لــ اتيوس "Aetius"، ولكن بعـد رحيله إلى إنطاكية فيما بعد، صار في طليعة الأونوميين.

ج ــ وأخيرًا يلزمنا أن نأخذ في اعتبارنا العلاقة بين هذه الرسـائل، وبين كتابه عن المجـامع "De Synodis" فالتأكيـد علـى الكيـان الشخصي "Personal Subsistance" لكل من الآب والابن والـروح في (رسالة١: ٢٨؛ ٢: ٣) والتفسير الذي يعطيه "لكلمة "ὁμοούσιος" "هوموأوسيوس" والتي تعني: من نفس الجوهر مع الآب أي التساوي

[3] C.R.B. Shapland, The Letters of St. Athanasius concerning The Holy Spirit, London - New York, 1951.

في الجوهر، في نفس الموضع، إنما يؤكد بالأحرى على التساوي بين الأقانيم الثلاثة أكثر مما يركز على وحدتهم.

ثانيًا: من هم الـ "تروبيكيون- Tropici"؟

(أ) إشارات القديس أثناسيوس عنهم.

يذكر القديس أثناسيوس في رسالته الأولى إلى سرابيون، "التروبيكيين"، "المحرفين" أربع مرات، فيقول:

١ ــ [لكن هؤلاء، الذين هم "المحرفون" قد اتفقوا مع الآريوسيين واقتسموا معهم التجديف على اللاهوت. فبينما قال الآريوسيون عن الابن أنه مخلوق، قال هؤلاء عن الروح القدس أنه مخلوق. لقد تجاسر "المحرفون" أن يجدوا لأنفسهم طرقًا وأن يسيئوا تفسير أقوال الرسول بولس عندما كتب إلى تيموثيئوس "*أناشدك أمام الله والرب يسوع المسيح والملائكة المختارين...*" هؤلاء يؤكدون أنه طالما أن الرسول قد سمى أولاً الله والمسيح ثم بعد ذلك سمى الملائكة، فيلزم أن يحسب الروح القدس مع الملائكة ويكون من طغمتهم، وهو ملاك أعظم من الملائكة الآخرين] (الرسالة الأولى: فصل١٠).

٢ ــ [الآريوسيون إذ لم يستطيعوا أن يدركوا كيف أن الثالوث القدوس غير قابل للتقسيم جعلوا الابن واحدًا من المخلوقات، أما المحرفون فيحسبون الروح القدس ضمن المخلوقات] (الرسالة الأولى:١٧).

٣ ــ [وفيما يخص أقوال كل من النبي والرسول، التي خدعوا أنفسهم بتحريفهم إياها، فإن هذه العبارات تكفي لكي تبين أقوال هؤلاء

"المحرفين" الشريرة، التي أدى إليها جهلهم] (١:٢١).

٤ ـ [ولكن ابتداع "المحرفين" غير المعقول والخرافي يتناقض من ناحية مع الكتب المقدسة ومن ناحية أخرى يتفق مع عدم عقلانية الآريوسيين المجانين. أنه من الطبيعي بالنسبة لهم (أي المحرفين) أن يتظاهروا هكذا ليخدعوا البسطاء] (١:٣٢).

(ب) كان آريوس يعتقد أن الروح القدس من جوهر مختلف عن جوهر الآب، ورغم أن مسألة الروح القدس لم تثر في مجمع نيقية (٣٢٥م) إلاّ أن عدم اعتراف الآريوسيين بألوهية الابن وعدم اعتبارهم إياه أنه من جوهر الآب نفسه، كان يتضمن أيضًا عدم الاعتراف بألوهية الروح القدس دون أن يكون ذلك واضحًا في البداية. كل هذا مهد الطريق بعد أن هدأت الثورة الآريوسية قليلاً، إلى ظهور أفكار عند البعض لا تعترف أن الروح من نفس جوهر الآب والابن. فالآريوسيون المتأخرون مثل أتيوس "Aetius" وأونوميوس "Eunomius" يعتبرون الروح القدس أنه أسمى المخلوقات التي خلقها الابن بناء على أمر الآب، كما يعتبرونه مصدر الاستنارة والتقديس.

وفي سنة ٣٥٩م، ٣٦٠م أخبر القديس سرابيون أسقف تمويس "Thumuis" القديس أثناسيوس في رسالة أرسلها إليه، أن هناك مجموعة من المسيحيين في مصر لا يؤمنون بألوهية الروح القدس رغم أنهم يعترفون بألوهية الابن، وقد رد القديس أثناسيوس على

رسالة الأسقف سرابيون بهذه الرسائل التي يسمى فيها هؤلاء الأشخاص بالـ "تروبيكى Tropici"، نظرًا لأنهم يفسرون نصوص الكتاب التي تتعارض مع تعليمهم تفسيرًا محرفًا. فهم يقولون إن الروح القدس مخلوق من العدم[٤]. وعلى وجه التحديد يقولون إن الروح القدس ملاك أعلى من بقية الملائكة في الرتبة، ولكنهم يحسبونه ضمن الأرواح الخادمة المذكورة في (عب١: ١٤)[٥]، ونتيجة لذلك فهو حسب رأيهم من جوهر آخر مختلف عن جوهر الآب والابن[٦].

ومن المحتمل جدًا أن "التروبيك" رغم أنهم كانوا سابقين لمن سموا "بمحاربي الروح" المتأخرين عنهم، إلا أنهم كانوا بدعة محلّية في مصر، ولم يكن لهم علاقة مباشرة "بمحاربي الروح" المعاصرين لانعقاد مجمع القسطنطينية المسكوني الثاني سنة ٣٨١م.

وإذا قارنا بين تعليم "التروبيكيين" وبين تعليم "محاربى الروح" المتأخرين الذين اشتهروا باسم "المقدونيين"، نجد أن هناك جوانب تشابه هامة، كما أن هناك بعض نقاط اختلاف ذات أهمية: "فالمقدونيون" لا يدعون "الروح"، "ربًا"، كما أنهم يرفضون أن يُمجد مع الآب، فهو عندهم ليس "عاملاً مع الله" "συνεργός" لأنه لا يخلق ولا يعطي الحياة، وهو مثل الملائكة "خادم" "ὑπερέτης" لله، وأداة

---

[٤] انظر الرسالة الأولى: فقرة١، ١٧، ٢٦.

[٥] انظر الرسالة الأولى فقرة١

[٦] رسالة١: ٢.

له. ومع ذلك فلا يعتبر ملاكًا، ولا أحد المخلوقات. وهو ليس غير مشابه للآب والابن، فهو "إلهي Θεἷος" ولكنه ليس "إلهًا Θεός"، وهو مبتدئ ولكنه ليس مخلوقًا، وهو فرد متميز، وله "طبيعة متوسطة". أما تعليم التروبيكيين فهو بالمقارنة مع "المقدونيين" يعتبر بعيدًا عن الغموض، وذا وضوح قاطع وتفكير متناسق، فهم يقولون أن الروح مخلوق يختلف عن الملائكة في الدرجة فقط. فهو عندهم في واقع الأمر ملاك كما أنه مخلوق[٧]، كما أنهم يعتقدون بأنه لا يشبه الابن.

ويلاحظ أن كل من "التروبيكيين والمقدونيين"، ادّعوا أنهم يؤسسون تعليمهم على الكتاب المقدس. وبينما يذكر أثناسيوس أن "التروبيكيين" يستشهدون بثلاث آيات، فإن المقدونيين يستندون في تفسيراتهم عن الروح إلى العديد من الآيات، ويشرحونها بطريقتهم. فقد استخدموا مجموعة من المقاطع التي استخرجوا منها، أن الروح أقل من الآب والابن، أو أن تلك المقاطع في مدلولها تبدو كما لو كانت تعني أن الروح ليس له مكان في الحياة الإلهية ولا في فاعليتها، ولكن يلاحظ أن الآيات الثلاث التي أستند إليها "التروبيكيون" هي ضمن الآيات الكثيرة التي أستخدمها المقدونيون في نظرتهم للروح القدس.

ثالثا: تعليم القديس أثناسيوس عن الروح القدس

بالنسبة للقديس أثناسيوس، فإن التعليم عن الروح القدس مرتبط

[٧] انظر الرسالة الأولى ١، ١٠.

بعلاقة وثيقة جدًا بالتعليم عن الابن. ويصر القديس أثناسيوس على هذه العلاقة الوثيقة بين الابن والروح ويؤكد أن "التروبيكية" تتناقض مع تعليم الكنيسة الثابت، وهذا التقييم الذي وصل إليه القديس أثناسيوس من جهة هذه البدعة، ليس مجرد خطة تكتيكية لدحض مقاوميه بل هو مبدأ سليم حسب أساسيات العقيدة. فإن قضية الروح القدس نشأت من داخل الحديث عن قضية الابن، فقد كانت قضية الروح محنة من داخل محنة أخرى. فالعقيدة المسيحية عن الله في شموليتها، كانت تعتمد على هذه القضية. فلو كان القديس أثناسيوس قد أستسلم للتروبيكيين أو أذعن لهم في احتساب الروح مع المخلوقات، لاقتضى منه هذا أن يتخلى عن كل ما جاهد لأجله. ويمكن أن نفهم إلى أي مدى كان القديس أثناسيوس متحققًا بوضوح من هذه العلاقة، من إشاراته إلى الروح في مقالاته الثلاث ضد الآريوسيين، (Contra Arianos I,II,III) وهى كالآتى:

١ ــ الروح القدس مرسل ومعطى بواسطة الابن كخاصته (ضد الآريوسيين١: ٤٧، ٤٨).

٢ ــ المساواة بين الروح والابن فى الجوهر (ضد الآريوسيين١: ٥٠).

٣ ــ الروح هو بنوع خاص عطية الله، وإرساله من الابن يثبت ألوهية الابن (ضد الآريوسيين ٢: ١٨).

٤ ــ الروح في الثالوث هو كنشاط النور الذي في الشعاع الآتي من الشمس (ضد الآريوسيين ٣: ١٥). وقد أوضح القديس أثناسيوس هذه العلاقة بين الروح والابن (في الرسالة الأولى إلى سرابيون: ١٩) إذ



يقول "حيث إن الآب نور والابن هو شعاع..... فيمكننا أن نرى في الابن "الروح" الذي بواسطته نستنير".

٥ ــ الله حال فينا، بسكنى الروح القدس (ضد الآريوسيين ٣: ٢٤).

هذه الاعتبارات تكفي للرد على القول بأن الإيمان بألوهية الروح القدس، هو أمر التقطه أثناء سفره في روما والغرب. فتعليمه عن الروح ليس مجرد فضلة زائدة ملصقة بعقيدته في الابن، فالتعليم عن الابن والتعليم عن الروح ينبع كل منهما من الآخر بطريقة طبيعية وحتمية. فالتعليميان متكاملان تمامًا. ولكن لإصرار أثناسيوس على أننا نستقي معرفتنا للروح من معرفتنا للابن، فإنه يكشف ليس فقط تقديرًا دقيقًا للاتجاه المعاصر له من جهة الفكر اللاهوتي، بل أيضًا فهمًا عميقًا وقويًا لموضوعه.

ونحن نجد هنا عند أثناسيوس مرة أخرى، مفهوم العهد الجديد عن الروح القدس: أنه روح الابن، ليس فقط لأن الابن يعطيه ويرسله، بل لأن الروح هو الذي يحقق حياة المسيح فينا. فخدمة الروح القدس هي خدمة الابن، وكل ما يعمله الابن إنما يتحقق في الروح القدس (رسالة ١: ١٩، ٢٠). ويمكننا أن نقول بحق عن أثناسيوس ما قاله ليبرتون J. Lebreton عن بولس: "المسيح يقف وراء فهمه للروح"، إذ أن القديس أثناسيوس يقول: لأنه لا يوجد شئ لم يخلق ولم يعمل بالكلمة في الروح (رسالة١: ٣١). فهذه الصيغة "بالكلمة في الروح" المبنية على (١كو ٨: ٦؛ ١كو ١٢: ٣) وغيرها تتكرر مرة بعد الأخرى في هذه الرسائل (رسالة ١: ٩، ١٢، ٢٤، ٢٥، ٣٠؛ ورسالة

٣: ٥).

فالعمل الإلهى كما يفهمه القديس أثناسيوس يبتدئ من الآب ويتحقق بواسطة الابن في الروح القدس. لهذا يقول:

١ ــ الروح هو الأنيرجيا ἐνέργια أى energy والأنيرجيا تعني الفعل أو القوة أو الطاقة (انظر رسالة ١: ٢٠) إذ يقول: " القوة الحيّوية والعطية التي بها يقدس الكلمة الحي ويضئ، تنبثق من الآب، لأنها من الابن الذي يُعترف أنه من الآب، فالآب يرسل الابن والابن يرسل الروح". وانظر رسالة١: ٣٠ حيث يقول فى تعليقه على (١كو ١٢: ٤ــ٦) حينما يتكلم الرسول بولس عن المواهب والخدم وأنواع أعمال، (إنيرجيا energy)، يقول: "المواهب التي يقسّمها الروح لكل واحد تُمنح من الآب بالكلمة. لأن كل ما هو من الآب هو من الابن أيضًا. وإذن فتلك الأشياء التي تُعطَى من الابن في الروح هي مواهب الآب. وحينما يكون الروح فينا، فالكلمة الذي يعطى الروح يكون أيضًا فينا".

٢ ــ وفى رسالته الثالثة:٥ يقول إن: "الأشياء المخلوقة **بالكلمة** تنال قوة الوجود من الكلمة بالروح". وهذه العبارة تعني أن القديس أثناسيوس ينظر إلى الروح على أنه هو الذي يُعطي تحقيقًا واقعيًا لقوة الله وعمله. ويبلغ بالعمل إلى غايته المحدّدة... فالروح هو روح القوة والمعطى الحيوية ومكمّل أعمال الله.

ويقول أثناسيوس عن الروح أنه "النور" الذي به نستنير فيكتب هكذا: [حيث إن الآب نور والابن هو شعاعه... ويمكننا أن نرى في

الابن "الروح" الذي بواسطته نستنير... ولكن حينما نستنير بالروح فالمسيح هو الذي ينير في الروح لأنه يقول: "*كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتيًا إلى العالم*" (يو١: ٩)]. فالشعاع يدل على ما تشعه الشمس، والنور يدل على ما تستقبله العين، وهو الذي يحقق ويكمّل كل عملية الإنارة في المتقبل الذي يستنير.

هذا الخط الفكري يرتبط في يسر شديد بعمل الروح في تقديس المخلوقات. ومن هذه الناحية فأن أثناسيوس يفكر في الخلق والتقديس كعمل واحد، ولذلك ففي عرضه لخدمة الروح في (الرسالة الأولى ٢٢ــ٢٤)، يتناول فاعليته في الخلق لا بصورة مستقلة بل كما لو كانت ضمن إطار فاعلية الروح التقديسية. وكان هذا ميسورًا جدًا بالنسبة لأثناسيوس بسبب تعليمه عن الخلق ذاته، كما جاء في الرسالة إلى الوثنيين حيث قال: [لهذا صنع (الله) كل الأشياء بكلمته الأزلي، وأعطى الخليقة جوهرها الخاص... ونظرًا لصلاحه فإنه يرشد كل الخليقة ويركزها بكلمته الذي هو نفسه الله أيضًا، لكي يكون للخليقة نور تدبير ورعاية وتنظيم "الكلمة" (اللوغوس)، ولكي تتمكن من أن تستقر آمنة دوامًا، لأنها تشترك مع الكلمة الذي يستمد الوجود الحقيقي من الآب، وتستمد منه المعونة للوجود لئلا يصيبها ما كان ممكنًا أن يحل بها لولا بقاؤها بواسطة اللوغوس، أي لئلا يصيبها الانحلال، لأنه هو "*صورة الله غير المنظور، بكر كل خليقة، فإنه به وفيه كل الأشياء كائنة، ما يرى وما لا يرى، وهو رأس الكنيسة*" (١كو١: ١٥ــ١٨)، كما يُعلّم خُدام الحق في كتاباتهم المقدسة] (ضد



الوثنيين فصل ٤١: ٣). وجاء في كتابه "تجسد الكلمة" ما يلي:

[ولذلك خلق كل الأشياء من العدم بكلمته يسوع المسيح ربنا، وبنوع خاص تحنن على جنس البشر. ولأنه رأى عدم قدرة الإنسان أن يبقى دائمًا على الحالة التي خُلق فيها، أعطاه نعمة إضافية، فلم يكتف بخلق البشر مثل باقي الكائنات غير العاقلة على الأرض، بل خلقهم على صورته وأعطاهم شركة في قوة كلمته حتى يستطيعوا بطريقة ما، ولهم بعض من ظل (الكلمة) وقد صاروا عقلاء، أن يبقوا في سعادة ويحيوا الحياة الحقيقية، حياة القديسين في الفردوس][8].

والله إذ خلق فإنه قد منح خلائقه شركة في طبيعته، واستمرار مخلوقاته في الوجود يصير مضمونًا بواسطة حضوره فيها. وإن كان القديس أثناسيوس في "الرسالة إلى الوثنيين" وفي "تجسد الكلمة" لا ينسب هذا الحضور إلى الروح بل إلى الابن، إلا أنه حينما يكتب هذه الرسائل عن الروح القدس، فإنه يعيد تفسير كلاً من فعلى الخلق والتأليه، لكي يعطي لعمل الروح القدس حق قدرة. ففي (الرسالة الأولى فصل ٢٩) يصر القديس أثناسيوس في تفسيره (أفسس ٤: ٦) على أن "التروبيكيين" بإنكارهم ألوهية الروح القدس ينكرون فاعلية الله في المعمودية لأن الروح كما يقول القديس أثناسيوس "هو الذي يوحّدنا بالله" (١: ٢٩).

---

[8] تجسد الكلمة، فصل ٣:٣ ترجمة د. جوزيف موريس فلتس، المركز الأرثوذكسى للدراسات الابائية، الطبعة الثالثة، القاهرة ٢٠٠٤.

وفي عرضه لعمل الروح القدس فى التقديس، فإنه يعود بنا مرة أخرى إلى العهد الجديد، فهو يتحدث عن عمل الروح القدس في الأنبياء، ويركز هذا العمل في وحي الكتب المقدسة. فهو لا يتكلم كثيرًا عن عمل الروح بل ينشغل بالأكثر، بتأكيد حقيقته أنه خاص بالله. وتقدير أثناسيوس للروح هو متأثر أساسًا بفهمه للتقديس كعمل إلهي فائق للطبيعة أكثر مما هو عمل أخلاقي ورغم أن لفظة Θεοποίησις "تأليه" ومشتقاتها ليست بارزة في هذه الرسائل بمثل بروزها في مقالاته ضد الأريوسيين إلاّ أن فكرة التأليه هذه تسود تفكيره. ويقصد القديس أثناسيوس بالتأليه الارتفاع بالطبيعة البشرية إلى حالة عدم الفساد الخاصة بالله، حتى أنها توهب القدرة على الاشتراك في غبطة الله بقدر ما تسمح مخلوقيتها.

هذا المفهوم لم يكن أثناسيوس هو أول من تكلّم عنه. فقد تكلم اكليمندس الأسكندرى عن تحوّل الطبيعة البشرية إلى مستوى إلهي ولكنه يفسر هذا التحول على أنه نوع من الاستنارة، بينما يربط القديس أثناسيوس هذا التحول مباشرة بحالة البشرية الساقطة وفقداننا للخلود الذي نتج عن السقوط. فعنده أن غرض التجسد ليس فقط نوال الاستنارة بل أيضًا أن يعيد خلق بشريتنا بإعادة توحيدها مع الله. وبذلك يوقف عملية الموت. وبهذا الإصرار على "عدم الفساد" (Ἀφθαρσία) باعتباره الخاصية المتميزة في الحياة الإلهية، كما هي معطاة للبشر، فإنه بهذا الإصرار يتخذ موقف تعليم القديس إيرينيوس، وقبل إيرينيوس يمكن أن نتتبع هذا التعليم فنجده عند أغناطيوس،



ومن ثم نجد بدايته في الإنجيل للقديس يوحنا. وهذا ما تصلي به الكنيسة القبطية في صلاة الصلح للقداس الباسيلي قائلة: الله جبل الإنسان على "غير فساد" وأنه هزم الموت بظهور أبنه الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح في الجسد لكي يعيدنا إلى "عدم الفساد".

إن معالجة القديس أثناسيوس لهذا الموضوع، التأليه أو التقديس في هذه الرسائل كما في مقالته الأولى ضد الآريوسيين، هي في غاية الأهمية، لا بسبب أنه يوسع مفهوم التقديس الموجود في كتاب تجسد الكلمة، بل بسبب انه يربط هذا التقديس بالروح القدس. ففي "مقالته الأولى ضد الآريوسيين" يقول في حديثه عن ألوهية الابن: [أما المخلّص فحيث إنه هو الله فإنه يزاول دائمًا حكم مملكة الآب. ولما كان هو نفسه مانح الروح القدس، إلا أنه يُقال الآن أنه يُمسح، لكنه كإنسان يقال عنه أنه يُمسح بالروح، وذلك حتى يبني فينا نحن البشر سكنى الروح وألفته تمامًا مثلما وهبنا الرفعة والقيامة... إذن فإن كان يقدس ذاته من أجلنا وهو يفعل هذا لأنه قد صار إنسانًا، فمن الواضح جدًا أن نزول الروح عليه في الأردن إنما كان نزولاً علينا نحن، بسبب لبسه جسدنا، وهذا لم يصر من أجل ترقية اللوغوس بل من أجل تقديسنا من جديد، ولكي نشترك في مسحته، ولكي يقال عنا "*ألستم تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم*" (١كو٣: ١٦).. وحينما اغتسل الرب في الأردن كإنسان كنا نحن الذين صرنا متقبلين للروح بواسطته... إذن فلا يكون اللوغوس باعتباره اللوغوس

والحكمة هو الذي يُمسح من الروح الذي يعطيه هو ذاته، بل الجسد الذي قد أتخذه هو، الذي يمسح فيه ومنه، وذلك لكي يصير التقديس الصائر إلى الرب كإنسان، يصير (هذا التقديس) إلى جميع البشر به. لأنه يقول أن "*الروح لا يتكلم من نفسه*" (يو١٦: ١٣)، بل اللوغوس هو الذي يعطي هذا الروح للمستحقين] (ضد الآريوسيين المقالة الأولى)[٩].

وفي الرسالة الأولى إلى سرابيون، يقول القديس أثناسيوس: [وأيضًا الروح هو روح القداسة والتجديد وهو يدعى هكذا... والروح يدعى مسحة وهو الختم... والمخلوقات تختم وتمسح بواسطته وتتعلم منه كل شئ. ولكن إن كان الروح هو المسحة والختم الذي به يمسح الكلمة كل الأشياء ويختمها، فإذن أي شبه أو انتماء للمسحة أو الختم مع الأشياء التي تُمسح وتُختم؟ وأولئك الذين يُمسحون يقولون حينما ينالون المسحة، نحن رائحة المسيح الذكية (٢كو٢: ١٥). والختم له صورة المسيح الذي يختم، والذين يُختمون يشتركون في الختم ويتشكلون حسبه، كما يقول الرسول "*يا أولادي الذين أتمخض بكم أيضًا إلى أن يتصور المسيح فيكم*" (غلا٤: ١٩). وهكذا إذ نُختم فمن الطبيعي أن نصير "*شركاء الطبيعة الإلهية*" كما يقول بطرس الرسول (٢بط١: ٤). وهكذا فكل الخليقة تشترك في الكلمة بالروح، وبالإضافة إلى ذلك فإنه يقال عنا إننا شركاء الله لأنه يقول: "*أما*

[٩] انظر المقالة الأولى ضد الآريوسيين ترجمة الأستاذ صموئيل كامل عبد السيد والدكتور نصحي عبد الشهيد، إصدار مركز دراسات الآباء القاهرة ١٩٨٤، فصلى ٤٦، ٤٧.

تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم" (١كو٣: ١٦)...

... أما الآن فلكوننا ندعى شركاء المسيح وشركاء الله، فهذا يوضح أن المسح والختم الذي فينا ليس من طبيعة المخلوقات بل من طبيعة الابن الذي يوحدنا بالآب بواسطة الروح الذي فيه. وإن كنا بالاشتراك في الروح نصير شركاء الطبيعة الإلهية فإنه يكون من الجنون أن نقول إن الروح من طبيعة المخلوقات وليس من طبيعة الله. وعلى هذا الأساس فإن الذين هم فيه، يتألهون، وإن كان هو يؤله البشر، فلا ينبغي أن يشك أن طبيعته هي طبيعة إلهية] (رسالة١: ٢٣، ٢٤).

في هذه الرسائل ينسب القديس أثناسيوس فعل التأليه للروح القدس. وهنا نجد أن فكر القديس أثناسيوس قريب جدًا من فكر القديس إيرينيوس الذي أكد بشكل خاص في تعليمه عن التقديس على عمل الروح، أكثر من أي كاتب آخر من كتاب القرنين الثاني والثالث. والتشابه بينهما ليس محصورًا فقط في الفكرة العامة، فالرموز والمصطلحات التي يعبران بها، والنصوص التي يبنيان عليها، غالبًا مشتركة بينهما (انظر "ضد الهرطقات" لإيرينيوس٣: ١٧، ١٨؛ ٥: ١ ؛ ٦: ١ ؛ ٧: ١). ويمكن أن يكون أثناسيوس متأثرًا مباشرة بإيرينيوس في هذه النقاط. ولكن حتى إن كان قد استعار مادته منه، إلاّ أنه يوجهها حسب استعماله الخاص، ويجعلها تخدم مفهومه في أن الروح يخص الابن. فمثلاً كل من أوريجينوس وإيرينيوس يستخدم رمز "المسحة". فبالنسبة لأوريجينوس تعبر

"المسحة" عن اتحاد كلمة الله وحكمته بنفس المسيح الإنسانية (من مزمور٤٤: ٨)، حتى أن رائحة المسحة تمتد إلى أولئك الذين يشتركون فيه، أما إيرينيوس فيأخذ الكلام عن "المسحة" من إشعياء٦١: ١، ويربطها بنزول الروح على المسيح فيقول "إنه الآب هو الذي يمسح، ولكن الابن هو الذي يُمسح بواسطة الروح الذي هو المسحة" (انظر Haer.III, xviii, 3) وكما يأخذ المسيح الروح هكذا هو ينقله إلى أولئك الذين يشتركون في شخصه. وأثناسيوس كما هو واضح من مقالته الأولى ضد الآريوسيين (١: ٤٦، ٤٧) يبدأ أيضًا من إش٦١: ١، ومن معمودية المسيح. ولكن منذ البداية، الروح عنده هو روح الابن إذ يقول: "كوني أنا كلمة الآب فأنا نفسي أنا الصائر إنسانًا أعطى ذاتي الروح". فكون المسحة هي من الآب يستبعدها أثناسيوس مؤقتًا، وهكذا نجد في الرسالة الأولى إلى سرابيون (١: ٢٣) تأكيدًا على أن المسيح هو الذي يمسح، وأيضًا تأكيدًا على أن الخاصية المميزة التي تُمنح بواسطة الروح هي خاصة بالمسيح.

ولكوننا نُمسح بالروح فإننا رائحة المسيح وهكذا بالمثل يعتبر إيرينيوس الروح كناقل لصورة الآب والابن إلى الإنسان (Haer. III, xvii, 3)، أو بتعبير آخر "**شبه الله**". وحينما يتكلم أثناسيوس عن الروح كختم وصورة فهو يحصر الاستعارة في علاقة الروح بالابن. وبالمثل فالروح عند إيرينيوس هو على وجه العموم "**روح الله**"، وأحيانًا قليلة يستعمل عبارة "**روح الآب**" (Hear. III, xvii, 1)، ولكن إيرينيوس لا يستعمل مطلقًا عبارة "روح الابن".



أما عند أثناسيوس فإن عبارة "**روح الابن**" هي التسمية المعتادة عنده للروح.

وفي كل هذا، لا يوجد بالطبع أي قصد عند أثناسيوس بأن يبعد الروح عن الآب. وربما بسبب أنه شعر أن ما يقوله في الرسالة الأولى (١: ٢٢ وما بعده) يكمن أن يساء فهمه بهذا الشكل (أي كما لو أنه يبعد الروح عن الآب)، لذلك فهو يُصر بوضوح في الرسالة الثالثة (٣: ١) على "أن الروح القدس الذي قيل أنه للابن فهو للآب". فالابن كما لو كان يصل بين الآب والروح، فلأن الروح خاص بالابن، لذلك نفهم انبثاقه من الآب إذ يقول في الرسالة الأولى (١: ٢٠) "هكذا فإن القوة الحيوية والعطية التي بها يقدس ويضئ (الابن) ينبغي أن تكون واحدة كاملة وتامة وهي التي يُقال عنها أنها تنبثق من الآب لأنها من الكلمة، الذي يعترف أنه من الآب، وهي (أي الروح القدس) التي تشرق وتُرسل وتُعطي".

ومن الملاحظ أنه عندما يستعمل القديس أثناسيوس الحرفين Para، ek ليشير بهما إلى العلاقة بين الروح والابن فهو هنا يتحدث عن إرسالية الروح القدس من الابن في الزمن وليس عن الانبثاق الأزلي لأقنوم الروح القدس.

وعندما يتحدث أثناسيوس عن عمل الله في الخليقة وفي الكنيسة أي في التدبير فإنه يشرح هذا العمل باعتباره عملاً مشتركًا بين الأقانيم الثلاثة، فالآب يعمل كل شئ بالكلمة في الروح، ويؤكد أن الروح ليس خارج الكلمة بل إذ هو في الكلمة فهو في الله (رسالة ٣:

٥). وبالنسبة للقديس أثناسيوس فإنه يهتم بالتأكيد فقط على أن الروح هو في الله، أما كيف ينبثق الروح القدس من الآب فهذا أمر يعجز المؤمن عن أن يتدخل فيه بعقله، فهو يعتبر أن التفكير العقلي في هذا الأمر هو تجاسر وجنون (انظر رسالة ١: ١٨، ١٩).

رابعًا: هذه الترجمة

ترجمنا هذه الرسائل من اللغة اليونانية من مجموعة ميني M.G. مجلد ٢٦، والمنشورة أيضًا باليونانية القديمة والحديثة في سلسلة "أباء الكنيسة اليونانية ΕΠΕ" منشورات غريغوريوس بالاماس ــ تسالونيكي باليونان ــ أعمال القديس أثناسيوس مجلد ٤ سنة ١٩٧٥.

وقارنا الترجمة عن اليونانية بالترجمة الإنجليزية لهذه الرسائل التي ترجمها "شابلاند، C. R. B. Shapland " سنة ١٩٥١، وكذلك قارناها بالترجمة العربية عن الإنجليزية للقس مرقس داود والتي نشرتها مدارس الأحد بالجيزة حوالي سنة ١٩٥٢، والتي أعادت طبعها مكتبة المحبة في السنوات القليلة الماضية، كل ذلك للوصول إلى أدق القراءات للرسائل.

ونضيف أن الترجمتين الإنجليزية والعربية المذكورتين أعلاه تتوقفان في الرسالة الرابعة عند نهاية فصل ٧. أما الأصل اليوناني فيمتد بعد ذلك حوالي ٢٠ صفحة. هذه التكملة للرسالة الرابعة في الأصل اليوناني كان قد ترجمها ونشرها بالعربية الدكتور جورج



حبيب بباوى سنة ١٩٧٦ تحت اسم "الرسالة الخامسة إلى سرابيون عن التجديف على الروح القدس". ضمن كتاب "الروح القدس في بعض كتابات الآباء". فقمنا بضم ترجمة الدكتور جورج المنشورة سنة ١٩٧٦ إلى الرسالة الرابعة في هذه الترجمة الجديدة لأن الأصل اليوناني يحتفظ بهما معًا في رسالة واحدة هي الرسالة الرابعة.

ولإلهنا القدوس الآب والابن والروح كل مجد وسجود إلى الأبد. آمين.

المترجمان.

مقدمة الطبعة الثانية

نفدت الطبعة الأولى لهذا الكتاب التى صدرت فى سنة ١٩٩٤، خلال شهور قليلة، ومنذ ذلك الحين.. وكثيرون يطلبون إعادة طبعه ثانيةً.

ولذلك قمنا بمراجعة الطبعة الأولى ونقحناها من الأخطاء المطبعية، كما أننا نقلنا الملاحظات التى كانت فى نهاية الكتاب فى الطبعة الأولى إلى أسفل الصفحات. كما أضفنا أيضًا فى هذه الطبعة الجديدة فهرس للكلمات والموضوعات الواردة فى الرسائل، فى نهاية الكتاب.

ونرجو من الله أبينا فى اسم ابنه الوحيد يسوع المسيح بالروح القدس أن يبارك فى هذا الكتاب لبنيان كنيسته المقدسة بشفاعة السيدة العذراء والدة الإله، وصلوات القديس أثناسيوس الرسولى وجميع الآباء القديسين، وبصلوات قداسة البابا شنودة الثالث وجميع الآباء المطارنة والأساقفة.

ولإلهنا الثالوث القدوس الواحد كل مجد وسجود وتسبيح الآن وإلى الأبد، آمين.

٣١ أكتوبر ٢٠٠٥م	**المركز الأرثوذكسى**
٢١ بابة ١٧٢٢ش	**للدراسات الآبائية**
نياحة القديس الأنبا رويس	**بالقاهرة**



رسائل القديس أثناسيوس
إلى سرابيون أسقف تمويس
الرسالة الأولى
(ضد الذين يجدفون ويقولون إن الروح القدس مخلوق)

(١)

لقد سُلِّمت إليَّ رسائل تقواكم في البرية. وعلى الرغم من قسوة الاضطهاد الموجه ضدنا، وكذلك على الرغم من أن أولئك الذين كانوا يطلبون أن يقتلونا أطالوا البحث لكي يعثروا علينا، فإن أب الرأفة وإله كل تعزية (٢كو١: ٣) استخدم حتى هذه (الضيقات) لكي يعزّينا.

وإذ تذكّرت صلاحكم وكل الأصدقاء الأصيلين تصوّرت أنكم جميعاً حاضرون معي في تلك اللحظة. وفي الحقيقة لقد أحسست كثيرًا بالسرور إذ تلقيت رسائلكم، ولكن بمجرد أن قرأتها بدأ الحزن يتجدّد ثانية بسبب أولئك الذين فكروا أن يثيروا حرباً ضد الحق من جديد. وأنت كذلك أيها الحبيب والمتشوّق إليه بحق قد كتبت إليَّ ــ وأنت مثقل بالحزن ــ أن بعض الأشخاص وأن كانوا قد تركوا الآريوسيين بسبب تجديفهم على ابن الله إلاّ أنهم يجدفون ضد الروح القدس، ويقولون إنه ليس فقط أحد المخلوقات[١٠]. بل إنه أيضًا أحد

[١٠] يرى القديس أثناسيوس أن انحراف "التروبيكيين" من جهة الروح القدس هو انحراف مزدوج. **فأولاً:** هم يدعون الروح القدس مخلوقًا من ناحية، **ثانيًا:** يقولون إن الروح مختلف عن الملائكة في=

الأرواح الخادمة (عب١: ١٤) ويختلف عن الملائكة حسب الرتبة فقط. وهم في هذا الأمر يتظاهرون بأنهم يحاربون الآريوسيين لكنهم في الحقيقة يتكلمون ضد الإيمان المقدس. لأنه كما أن أولئك بإنكارهم الابن ينكرون الآب أيضًا، هكذا هؤلاء أيضاً فأنهم إذ يجدفون على الروح القدس فإنهم يجدفون على الابن أيضاً، وهكذا فإن الفريقين قد اقتسما فيما بينهما مقاومتهما للحق، فإذا كان فريق منهما يفكر ضد الكلمة والفريق الآخر يفكر ضد الروح، فبذلك هما يحتفظان بنفس التجديف على الثالوث القدوس.

وإذا انشغل ذهني بهذه الأمور وفكرت فيها كثيراً أصبت بحزن شديد، لأن إبليس وجد فرصة أخرى ليلعب في هؤلاء المرائين لعبة جنونه.

وكنت قد قررت أن أصمت إبان هذا الوقت الحرج، ولكن بسبب حض قداستكم لنا وكذلك بسبب الآراء المخالفة والوقاحة الشيطانية التي أظهرها أولئك الناس، أكتب هذه الرسالة بإيجاز، وإن كنت بالكاد أستطيع أن أقوم بهذه المهمة، لكي تأخذ من هذه الحقائق حججًا تتفق مع تفكيرك، وتكمّل أنت ما تجده ناقصاً، وبذلك يكون البرهان ضد هذه الهرطقة الدنسة، كاملاً.

(٢)

إن هذا التفكير ليس غريبًا على الآريوسيين، لأنهم ــ إذ أنكروا

=الرتبة فقط وليس في الطبيعة.

كلمة الله ــ فإنه من الطبيعي أن ينطقوا بنفس التجديف ضد روحــه. لذلك فليست هناك حاجة أن نضيف شيئًا آخر ردًا عليهم، إذ يكفي ما سبق وقد قيل ضدهم. لكن من العدل أننا بطريقة ما ــ كما يقولــون هم أنفسهم ــ إذ قد بحثنا الموضوع، أن نقدّم ما يجب لأولئك الــذين انخدعوا فيما يختص بالروح. ومن الطبيعي للمرء أن يتعجــب مــن جهالتهم، لأنهم إذا كانوا لا يريدون أن يقولوا إن ابن الله هــو أحــد المخلوقات، فكيف أمكنهم أن يحتملوا أن يسمعوا أن روح الابن هــو أحد المخلوقات؟.

لأنه حقًا، إذا كانوا بسبب وحدة **الكلمة** مع الآب[١١] يرفــضون أن يقولوا إن الابن هو أحد المخلوقات بل يعتبرونه كما هو بحق، خالق المخلوقات، فلماذا يقولون عن الروح الذي له نفس الوحدة مع الابــن – وهي نفس الوحدة التي للابن مع الآب – أنه أحد المخلوقات؟ أنهم

[١١] هذا الجزء من الرسالة الأولى يعتبر مقدمة للفصول من ١٩ــ٣١ ونجد فيها ثلاث نقاط من تعليم القديس أثناسيوس وهي:

١ ــ إن الروح له نفس الوحدة مع الابن مثل الوحدة التي للابن مع الآب. ورغم أن العلاقتين همــا من نفس النوع ولكن كل منهما تمثل علاقة خاصة. فالروح ليس أبناً مثل الابن بالنسبة للآب (انظر فصول ١٥، ١٦ من الرسالة الأولى). والروح هو في الابن كما أن الابن هو في الآب (انظر فصل ١٩ من الرسالة الأولى).

٢ــ وتبعًا لذلك فألوهية الروح القدس متعلقة بألوهية الابن، بالضرورة وكل كــلام عــن مخلوقيــة الروح يعني بالضرورة أن الابن مخلوق (فصل ٢١ من الرسالة الأولى).

٣ــ حيث إن الكتاب المقدس والتقليد يعلنان أن الإلوهية قائمة في ثالوث، فالقول بأن الروح مخلوق لا يحفظ وحدة الله وكماله سليمتين ويجعل المعمودية بلا فاعلية. (انظر فصول ٢٨ــ٣١ من الرسالة الأولى).

لم يدركوا أنه كما لا يجوز أن نفصل الابن عن الآب محافظين على الإيمان الصحيح بإله واحد، هكذا أيضاً فإنهم إذ يفصلون الروح عن **الكلمة**، لا يحتفظون بعد بالإيمان بألوهية واحدة في الثالوث. لأنهم يمزقون الألوهية ويخلطون معها طبيعة غريبة من نوع مغاير، ويضعونها على نفس المستوى مع المخلوقات. وهذا يعني أن الثالوث ليس واحداً ولكنه مركب من طبيعتين مختلفتين بسبب أنهم يتوهمون أن الروح من طبيعة مختلفة. فإذن، أي نوع هذا من الثيولوجيا[١٢]، الذي يُظهر الله بأنه مُركب من خالق ومخلوق؟ لأنه أما أنه لا يكون ثالوثاً بل اثنين مع الخليقة[١٣]، أو أن كان ثالوثاً ــ كما هو في الحقيقة بكل تأكيد ــ فكيف يحسبون الروح القدس ضمن المخلوقات التي أتت بعد الثالوث وهو نفسه روح الثالوث؟ لأن هذا معناه ــ مرة أخرى ــ تقسيم الثالوث وتحلّله.

ولهذا فحينما يفكرون تفكيرًا خاطئًا عن الروح القدس، فبالضرورة لن يكون تفكيرهم عن الابن صحيحًا. وإذا كانوا يفكرون تفكيرًا صحيحًا عن الكلمة فإنهم سيفكرون تفكيرًا سليمًا عن الروح الذي "ينبثق من الآب"[١٤]، والذي بسبب أنه روح الابن، أُعطَى بواسطته

---

[١٢] هي الكلمة اليونانية التي تعني التعليم عن الله. Θεολογία من كلمة Θεός ، وكلمة λόγος.

[١٣] لأنهم ــ حسب توهمهم الخاص ــ يعتبرون الروح القدس هو أحد المخلوقات.

[١٤] الكلمة اليونانية المترجمة ينبثق مكونة من مقطعين ἐκ-πορεύω والأداة εκ تعني يخرج من، وتشير إلى الأصل. وكلها تعني ينبثق من. وهنا يستعمل القديس أثناسيوس الفعل اليوناني المستعمل في الإنجيل حسب (يوحنا ١٥: ٢٦) "روح الحق الذي من عند الآب" ينبثق" . ونفس الفعل استعمله قانون الإيمان النيقي القسطنطيني عن الروح القدس "الرب المحي المنبثق من الآب". والقديس=



للتلاميذ ولجميع الذين آمنوا به. وحيث إن هؤلاء (الهراطقة الجدد) أيضًا قد انخدعوا بنفس الطريقة فليس لهم أيضاً إيمان سليم بالآب، لأن الذين "يقاومون الروح" (أع ٧: ٥١)، كما قال الشهيد العظيم اسطفانوس، ينكرون الابن أيضاً، والذين ينكرون الابن لن يكن لهم الآب أيضًا (١يو٢: ٢٣).

(٣)

إذن فمن أين لكم العذر لمثل هذه الجسارة الزائدة حتى أنكم لا تخافون من قول الرب: "أما من جدف على الروح القدس فلن يغفر له لا في هذا الدهر ولا في الآتي" (مت١٢: ٣٢). ذلك لأن الآريوسيين إذ فهموا مجيء الكلمة في الجسد فهمًا خاطئًا وكل ما قيل من جهة التجسد فإنهم اتخذوا منه حجة لهرطقتهم، وهكذا أدينوا كأعداء الله، واعتبروا بالحقيقة كأناس أرضيين يتكلمون باطلاً (يو٣: ٢١).

وأما أنتم فمن أين انخدعتم، وممن سمعتم هذه الضلالة، أو كيف ضلّلتم؟

يقولون: قرأنا في عاموس النبي قول الرب "*أنا هو منشئ الرعد وخالق الروح*[15]، *ومعلن للإنسان مسيحه، صانع الفجر والضباب،*

=أثناسيوس هنا عندما يتحدث عن علاقة الروح القدس بالآب يقول أنه ينبثق (أو يأخذ وجوده) منه، ولكنه عندما يتحدث عن علاقة الروح بالابن لم يقل أنه ينبثق منه بل قال عنه "الذي بسبب أنه روح الابن، أعطى بواسطته للتلاميذ، ولجميع الذين آمنوا به".

[15] ترجمت في ترجمة دار الكتاب المقدس وفي الترجمة السبعينية بالإنجليزية وفي ترجمات أخرى بكلمة "الريح".



ويصعد على أعالي الأرض. الرب الإله الضابط الكل اسمه" (عا٤: ٩س). ومن هذه الآية صدقنا الآريوسيين الذين يقولون إن الروح القدس هو أحد المخلوقات.

هذا ما قرأتموه في عاموس. ولكن هل قرأتم ما جاء في سفر الأمثال: " *الرب خلقني بدء طرقه لأجل أعماله*" (أم ٨: ٢٢س). أم لم تقرأوه؟ وهذه الآية تفسرونها تفسيرًا صحيحًا يتفق مع معناها الحقيقي. وذلك لكي لا تقولوا إن الكلمة هو أحد المخلوقات. أما ما يقوله النبي عاموس فلا تفسرّونه. ولكن بمجرد أن سمعتم كلمة "روح" اعتقدتم أنه يقول أن الروح القدس هو أحد المخلوقات. مع أنه واضح في سفر الأمثال أن الحكمة[١٦]، هو الذي يقول "خلقني". ومع ذلك فأنكم قد فسرتم الآية حسناً حتى لا تحسبوا الحكمة الخالق ضمن المخلوقات. أما الآية التي في عاموس فأنها لا تتكلم عن الروح القدس، بل قيلت ببساطة عن "روح". فإذا كان يوجد في الكتاب المقدس اختلاف كبير في معاني كلمة "روح"، وكان من الممكن أن تُفسرّ هذه الآية حسب معناها الخاص الصحيح، فلماذا تعتقدون أن عاموس يتكلّم هنا عن الروح القدس؟، ذلك إمّا لأنكم تحبون الانتصار على الغير أو لأنكم تضررّتم بلدغه الحيّة الآريوسية؟ وذلك لكي تؤكدوا بقولكم هذا، اعتقادكم الخاص ولا تنسوا ما تؤمنون به عنه أنه أحد المخلوقات.

[١٦] ويقصد بها في هذا الموضع، الابن.

(٤)

وإذن فلتقولوا لنا، أين وجدتم في الكتاب المقدس، أن الروح القدس، يُدعى فقط "روح"، ويُشار إليه دون إضافة اسم "الله" إليه أو "الآب" أو أنه "روحي" أي روح "المسيح نفسه" أو "الابن" أو "مني" التي تعني "من الله" أو يذكر مقترناً بأداة التعريف، فلا يُقال عنه "روح" بل "الروح" أو يسمى "الروح القدس" أو "المعزي" أو "روح الحق" الذي يعني "روح الابن" الذي يقول "*أنا هو الحق*" (يو١٤: ٦) حتى أنكم بمجرد أن تسمعوا كلمة "روح" تظنون أنها تعني "الروح القدس"؟.

والآن علينا أن نستثني، هؤلاء الذين إذ أخذوا الروح القدس، فإنهم يسمونه أيضًا ببساطة "روح". وكذلك هؤلاء الذين إذ سبق وتعلّموا عن الروح القدس، فإنه فيما بعد، إذ ذكر فقط باسم "روح"، بقصد التكرار أو التذكّر، فإنهم لن يجهلوا عن أي روح يسمعون، وعلى الأخص عندما يذكر هكذا مقترنًا بأداة التعريف.

وبالإجمال، فإنه بدون أداة التعريف، وبدون إحدى الإضافات التي تكلّمنا عنها آنفًا، فإنه لا يمكن أن تدل كلمة "روح" على الروح القدس، كما يبدو في مثل هذا الذي كتبه بولس للغلاطيين "*أريد أن أتعلم منكم هذا فقط، أبأعمال الناموس أخذتم الروح أم بخبر الإيمان*" (غلا٣: ٢). فأي روح آخر أخذه هؤلاء غير الروح القدس الذي يعطي للذين يؤمنون ويولدون ثانية بغسل الميلاد الثاني. ويكتب للتسالونيكيين "*لا تطفئوا الروح*" (١تس٥: ١٩). وهو يقول هذا، لهؤلاء

الذين قد عرفوا ذلك الذي أخذوه، حتى لا يطفئوا، عن إهمال، نعمة الروح المشتعل فيهم.

وفي الأناجيل، عندما تكلّم البشيرين عن المخلّص بتعبيرات بشرية، من أجل الجسد الذي اتخذه "*أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح*" (لو٤: ١) "*ثم أُصعد يسوع إلى البرية من الروح*" (مت٤: ١)، فإن الكلمة لها نفس المعنى، لأن لوقا قد سبق وقال: "*ولما اعتمد الشعب اعتمد يسوع أيضًا وإذ كان يصلي، انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة* جسمية *مثل حمامة*" (لو٣: ٢١ـــ٢٢). وواضح هنا، أنه عندما يقول "الروح" فإن المقصود هو "الروح القدس". وهكذا أيضاً حيث يكون الروح القدس مع البشر، حتى وإن ذكرت كلمة "الروح" بدون أية إضافة، فليس هناك من شك، أنها تعني "الروح القدس" وعلى الأخص، عندما تذكر الكلمة مقترنة بأداة التعريف.

(٥)

فهل يمكن لكم أن تجيبوا على سؤالي الذي وجهّته إليكم، إذا كان من الممكن أن تجدوا في مكان ما في الكتاب المقدس، أن الروح القدس سُمِّى ببساطة "روح" دون الإضافات التي تكلّمنا عنها سابقًا؟، ودون الملاحظات التي ذكرناها، أنكم لن تستطيعوا الإجابة، لأنكم لن تجدوا شيئاً مكتوباً مثل هذا.

بل قد كتب في سفر التكوين "وروح الله يرف على وجه المياه"

(تك١: ٢). وبعد قليل كتب "*لا يبقى بعد روحي بين هؤلاء الناس لأنهم جسد*" (تك٦: ٣). وفي سفر العدد يقول موسى لابن نون "*هل تغار أنت لي*"؟ ليت كل شعب الرب كانوا "*أنبياء، عندما يجعل الرب روحه عليهم*" (عد١١: ٢٩). وفي سفر القضاة قيل عن عُثنئيل "*وكان عليه روح الرب وقضى لإسرائيل*" (قض٣: ١٠)، وأيضاً قيل "*وكان روح الرب على يفتاح*" (قض١١: ٢٩)، وعن شمشون قيل "*فكبر الصبي وباركه الرب، وابتدأ روح الرب يرافقه*" (قض١٣: ٢٤، ٢٥)، ويرنم داود "*روحك القدوس لا تنزعه مني*" (مز٥٠: ١٣)، وأيضاً في المزمور المائة والثاني والأربعين "*روحك الصالح يهديني في أرض مستوية من أجل اسمك يارب، هبني حياة*" (مز١٤٢: ١٠، ١١)، وكتب في إشعياء "*روح الرب عليَّ لأنه مسحني*" (إش٦١: ١).

وبالإضافة إلى هذا قيل "*ويل لكم أيها البنون المتمردون، هكذا يقول الرب: أنتم تستشيرون استشارة وليس مني، وتقطعون عهوداً وليس بروحي، لتزيدوا خطية على خطية*" (إش٣٠: ١). وأيضًا "*اسمعوا هذا، لم أتكلم من البدء في الخفاء، منذ وجوده أنا هناك، والآن السيد الرب أرسلني وروحه*" (إش٤٨: ١٦).

وبعد قليل، يقول هكذا "*أما أنا فهذا عهدي معهم قال الرب، روحي الذي عليك*" (إش٥٩: ٢١)، ثم يضيف مباشرةً فيقول "*لا سفير ولا ملاك بل الرب نفسه خلصهم لأنه أحبهم وتراءف عليهم. هو نفسه فداهم وحملهم ورفعهم كل أيام الدهر ولكنهم تمرّدوا واحزنوا روحه القدوس فتحول لهم عدوًا*" (إش٦٣: ٩- ١٠). ويقول حزقيال:

"*وحملني روح وأتى بي إلى أرض الكلدانيين إلى السبي في رؤية بروح الله*" (حز١١: ٢٤). وفي دانيال "*وبعث الرب الروح القدس في شكل شاب اسمه دانيال وصاح بصوت عظيم أني برئ من دم هذه المرأة*" (دانيال قصة سوسنة ٤٥، ٤٦). ويقول ميخا "*إن بيت يعقوب أغاظ روح الرب*" (مي٢: ٧). ويقول الرب على فم يوئيل "*ويكون بعد ذلك أني أسكب من روحي على كل بشر*" (يؤ٢: ٢٨). وأيضًا على فم زكريا، فإن صوت الله يقول "*لكن اقبلوا كلامي وفرائضي التي أرسلتها بروحي إلى عبيدي الأنبياء*" (زك١: ٦). وبعد ذلك بقليل، عندما يلوم النبي الشعب، يقول "*جعلوا قلوبهم عاصية لئلا يسمعوا شريعتي والكلمات التي أرسلها رب الجنود بروحه عن يد الأنبياء الأولين*" (زك٧: ١٢). ومن هذا الذى استدللنا به من العهد القديم، أشرنا بالقليل.

(٦)

وابحثوا أنتم أيضًا لتقفوا على ما حوته الأناجيل عن هذه الأمور، وما كتبه الرسل، وسوف تعرفون، أن هناك أيضًا، يوجد اختلاف كبير، بين الأرواح فى معنى كلمة الروح، ومن الملاحظ أن الروح القدس لا يُدعى ببساطة "روح" بل يُذكر مع الإضافات التي أشرنا إليها سابقًا.

فبالنسبة للرب، كما سبق وأشرنا، عندما اعتمد كإنسان، بسبب الجسد الذي لبسه، قيل إن الروح القدس نزل عليه (يو١: ٣٢). وإذ أعطاه للتلاميذ، قال "*اقبلوا الروح القدس*" (يو٢٠: ٢٢)، وعلّمهم قائلاً:

" *وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شئ*" (يو١٤: ٢٦). وبعد قليل، قال عن نفس الأمر "*ومتى جاء المعزي الذي أرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي*" (يو١٥: ٢٦)، وأيضًا "*لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم*" (مت١٠: ٢٢)، وبعد قليل قال: " *ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله*" (لو١١: ٢٠). ولكي يُكمّل فيه كل معرفتنا عن الله (أي كل التعليم عن الله) ويتمّم كمالنا الخاص، الذى به وَحّدنا مع شخصه، ومن خلاله مع الآب، أوصى تلاميذه: "*اذهبوا وتلمذوا* جميع *الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس*" (مت٢٨: ١٩)، وإذ وعدهم أنه سوف يرسله إليهم "*أوصاهم أن لا يبرحوا أورشليم*" (أع١: ٤)، وبعد أيام قليلة "*لما حضر يوم الخمسين، كان الجميع معاً بنفس واحدة، وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة، وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين. وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار، واستقرت على كل واحد منهم وامتلأ الجميع من الروح القدس، وابتدءوا يتكلّمون بألسنة أخرى، كما أعطاهم الروح أن ينطقوا*" (أع٢: ١-٤).

ومن ذلك الوقت فصاعدًا، كان الروح القدس يُعطَى للذين وُلدوا ثانية، بوضع أيدي الرسل. وشخص ما يدعى أغابوس، تنبأ به قائلاً "*هكذا يقول الروح القدس*" (أع٢١: ١١). وبولس يقول: "*التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة، لترعوا كنيسة الله التي أقتناها بدمه*" (أع٢٠:

٢٨). وعندما اعتمد الخصي "*خطف روح الرب فيلبس*" (أع٨: ٣٩). وأيضًا كتب بطرس: "*نائلين غاية إيمانكم خلاص النفوس، الخلاص الذي فتش وبحث عنه أنبياء. الذين تنبأوا عن النعمة التي لأجلكم. باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها*" (١بط١: ٩ـ١١). وكتب يوحنا في رسالته: "*بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا، أنه قد أعطانا من روحه*" (١يو٤: ١٣). وكتب بولس للرومانيين: "*وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح، إن كان روح الله ساكناً فيكم. ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له. وإن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية وأما الروح فحياة بسبب البر. وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم*" (رو٨: ٩ـ١١). وللكورنثيين: "*لأن الروح يفحص كل شئ حتى أعماق الله. لأن مَن من إنسان يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه. هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله. ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذي من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله*" (١كو٢: ١٠ـ١٢). وبعد قليل: "*أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم*" (١كو٣: ١٦)، وأيضًا: "*لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا*" (١كو٦: ١١). وأيضًا: "*ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسمًا لكل واحد بمفرده كما يشاء*" (١كو١٢: ١١)، وأيضًا: "*وأما الرب فهو الروح، وحيث روح*



الرب هناك حرية" (٢كو٣: ١٧).

وانظر أيضًا كيف أرسل للغلاطيين، يقول: "*لتصير بركة إبراهيم للأمم في المسيح يسوع لننال بالإيمان موعد الروح*" (غلا٣: ١٤). وأيضًا: "*ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخًا يا أبا الآب. إذن لست بعد عبدًا بل ابنًا. وإن كنت ابنًا، فوارث لله بالمسيح*" (غلا٤: ٦، ٧). وإلى الأفسسيين يقول هكذا: "*لا تحزنوا روح الله القدوس الذي به ختمتم ليوم الفداء*" (أف٤: ٣٠)، وأيضًا "مجتهدين *أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام*" (أف٤: ٣). ويكتب إلى الفيلبيين بكل جرأة وحرية: "*فماذا، غير أنه على كل وجه سواء كان بعلة أم بحق ينادي المسيح، وبهذا أنا أفرح، بل سأفرح أيضًا، لأني أعلم أن هذا يؤول لي إلى خلاصي بطلبتكم ومؤازرة روح يسوع المسيح، حسب انتظاري ورجائي أني لا أخزي في شئ*" (في١: ١٨ــ٢٠)، وأيضًا: "*لأننا نحن الختان الذين نعبد الله بالروح ونفتخر في المسيح يسوع*" (في٣: ٣)، وإلى التسالونيكيين، يثبت شاهدًا: "*إذًا من يرذل لا يرذل إنسانًا بل الله الذي أعطانا أيضًا روحه القدوس*" (١تس٤: ٨)، ويكتب للعبرانيين ما يلي: "*معلنًا الروح القدس بهذا أن طريق الأقداس لم يظهر بعد، مادام المسكن الأول له إقامة*" (عب٩: ٨)، وأيضًا: "*فكم عقابًا أشر تظنون أنه يحسب مستحقًا من داس ابن الله وحسب دم العهد الذي قدس به دنساً وازدرى بروح النعمة*" (عب١٠: ٢٩)، وأيضاً "لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين يقدس إلى طهارة الجسد، فكم بالحرى يكون دم

المسيح الذي بروح أزلي قد نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة" (عب٩: ١٣ــ١٤)، ويقول للتسالونيكيين: "*وحينئذ سيستعلن الأثيم الذي يبيده الرب يسوع بروح فمه، ويبطله بظهور مجيئه*" (٢تس ٢: ٨).

(٧)

على هذا النحو، قُدِّم الروح القدس في كل الكتاب المقدس، فلماذا فهمتم الروح، في أقوال النبي عاموس على نحو معين؟ لأن كلمة "روح" لا يقرنها النبي بأداة التعريف، حتى يكون لكم عذر. ولكنكم ببساطة تجرأتم أن تدركوا كما يعلن لكم، وزعمتم أن الروح القدس، مع أنه كان يمكنكم، حتى عن طريق أناس تخصصوا في علم اللغة، أن تقفوا على الاختلاف القائم بين الأرواح، لأنه صار حديث حتى عن روح الإنسان، كما يرنم داود: "*تشاروت مع قلبي ليلاً، وجزعت روحي*" (مز٧٦: ٧)، يقول باروخ مصليًا: "*... النفس في ضيق والروح المكروبة تصرخ إليك*" (باروخ٣: ١)، وفي ترنيمة الفتية الثلاثة يُقال: "*يا أرواح ونفوس الأبرار باركوا الرب*" (دا ٣: ٦٣). ويكتب الرسول قائلاً: "*الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله، فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضًا*" (رو٨:١٦و١٧). وأيضًا: "*لا أحد يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه*" (١كو٢: ١١). وفي الرسالة إلى التسالونيكيين يصلي قائلاً: "*لتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح*" (١تس٥: ٢٣).

وفي سفر التكوين يتحدّث عن الرياح ويسميها "أرواحًا"، كما هو مكتوب:" *وأجاز الله روحاً على الأرض فهدأت المياه*" (تك٨: ١). وفي سفر يونان: "*فأرسل الرب روحًا شديدة إلى البحر فحدث نوء عظيم في البحر حتى كادت السفينة تنكسر*" (يون١: ٤). وكتب في المزمور المائة والسادس: "*أمر فأهاج روحاً عاصفة فرفعت أمواجه*"(قابل مع مز ١٠٧: ٢٥ دار الكتاب المقدس). وفي المزمور المائة والثامن والأربعين: "*سبحي الرب من الأرض يا أيتها التنانين وكل اللجج، النار والبرد والثلج والضباب، الروح العاصفة، الصانعة... كلها كلمته*" (مز١٤٨: ٧و٨). وفي حزقيال في مرثاة صور: "*ملاحوك قد أتوا بك في قلب البحر إلى مياه كثيرة. كسرتك روح الجنوب*" (حز٢٧: ٢٥، ٢٦).

(٨)

فإذا قرأتم أنتم أيضًا الكتب المقدسة، تجدون كلمة "روح" مستعملة بالمعنى الموجود في الأقوال الإلهية كما كتب بولس: "*الذي جعلنا كفاه لأن نكون خدام عهد جديد، لا الحرف بل الروح. لأن الحرف يقتل ولكن الروح يحيي*" (٢كو٣: ٦)، لأن ما يُنطق به يُكتب بالحروف أما المعنى الذي يتضمنه فهو يدعى "روح"، وهكذا فإننا نعلم أن "*الناموس روحي*" (رو٧: ١٤)، كما قال أيضًا: "*حتى نعبد بجدة الروح لا بعتق الحرف*" (رو٧: ٦). وهو نفسه يقول عندما يشكر: "*أشكر الله بيسوع المسيح ربنا إذ أنا نفسي أخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموس*

الخطية. إذن لا شئ من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت" (رو٧: ٢٥؛ ٨: ١). وإذ رغب فيلبس في تحويل الخصي من الحرف إلى الروح قال له: "*ألعلك تفهم ما أنت تقرأ*". وكان لكالب مثل هذا الروح كما يشهد بذلك قول الرب في سفر العدد: "*أما عبدي كالب فمن أجل أنه كانت معه روح أخرى وقد اتبعني تمامًا، أدخله إلى الأرض التي ذهب إليها*" (عد١٤: ٢٤).

ولأنه تكلّم بذهن مختلف عن ذهن الآخرين فقد صار مرضيًا عند الله. وقد حثّ الله الشعب أن يكون لهم مثل هذا القلب، عندما قال على لسان حزقيال: "*اعملوا لأنفسكم قلبًا جديدًا وروحًا جديدةً*"(حز١٨: ٣١).

وإذا كانت الأمور على هذا النحو، ومنها تبيّن أن هناك اختلافًا كبيرًا بين الأرواح، فقد كان من الأفضل لكم جدًا، عندما تسمعون عن الروح الذي خلق، أن تفكروا في أحد الأرواح التي سبقت الإشارة إليها. مثل ذلك الروح الذي كتب عنه إشعياء: "*قد تحالف آرام مع أفرايم فرجف قلبه (بيت داود) وقلوب شعبه كرجفان شجر الوعر قدام الروح (الريح)*" (إش٧: ٢). وفي نفس المعنى قيل: "*أرسل الرب روحاً شديداً إلى البحر*" (يون١: ٤). بسبب يونان، لأن الرعد تتبعه أرواح الرياح، كما بالنسبة إلى المطر الذي حدث في أيام آخاب وكتب عنه: "*بعد برهة وجيزة اسودت السماء من الغيم والروح (الريح)*" (١مل٨: ٤٥).



(٩)

ولكن حيث إن النبوة (عا٤: ١٣) "*أنا هو مؤسس الرعــد وخــالق الروح ومعلن للإنسان مسيحه*". فيما يقولون ــ تشير إلــى المــسيح، فإنه يتبع ذلك، أن الروح المُشار إليه يجب أن يفهم على أنه الــروح القدس وليس روحًا آخر. أنتم إذن تظنون أن الروح الذي سمى مــع المسيح هو الروح القدس، ولكن أين وجدتم أن هذا الــروح يتميــز حسب الطبيعة وينفصل عن الابن حتى أنه ــ بينما تقولون إن المسيح ليس مخلوقاً ــ فإنكم تقولون إن الروح القدس مخلوق؟ إنه من غيــر اللائق أن تسموا معًا وأن تمجدوا معًا، أشياء تختلف فــي طبيعتهــا. لأنه أية شركة توجد وأي شبه يقوم بين المخلوق والخــالق؟. لأنكــم أنتم أيضًا تضيفون وتقرنون مع الابن المخلوقات التي خُلِقت به. وقد كان هذا إذن كافيًا لكي تدركوا أن المقصود بما كتب هو الإشارة إلى روح الرياح، تمامًا كما سبق وذكرت. ولكن حيث إنكم تتخذون مــن ذكر المسيح في النبوة حجة، فقد صار من الــضروري أن نفحــص بالدقة ما قيل، لعلنا نجد المعنى الذي يناسب أكثر، القول بأن الــروح قد خلق.

فأي معنى آخر يستنبط من القول، بأنه "*معلن للإنسان مــسيحه*" سوى أنه هو نفسه صار إنسانًا، وسوى أن هذا القــول يــشبه قــول إشعياء النبي: "*هوذا العذراء تحبل وتلد ابنًا ويدعون اسمه عمانوئيل*" (إش٧: ١٤). ويشبه أيضًا الأقوال التي كتبت عن مجيئه؟ فعندما يعلــن عن مجيء الكلمة متجسدًا، فأي روح إذن يجب أن ندرك أنه مخلوق،

سوى روح الإنسان الذي خُلِق للمرة الثانية ووُلِد ثانيةً وتجـدّد؟ لأن هذا هو ما أعلنه على لسان حزقيال قائلاً: "*وأعطيكم قلبًا جديدًا وأجعل روحًا جديدةً في داخلكم وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم. وأجعل روحي في داخلكم*" (حز٣٦: ٢٦و٢٧). فمتى كان هذا إلاّ عندما جاء الرب وجدّد كل الأشياء بنعمته؟ هوذا إذن أيضًا في هذا القول، يتبيّن لنا الاختلاف بين الأرواح. فروحنا هي التي تجدّدت، ولكن الله يقول إن ذلك الروح الذي به تجدّدت أرواحنا هو روحه، كما يقول المرنم في المزمور المئة والثالث: "*تنزع روحها فتموت وإلى ترابها تعود. ترسل روحك فتخلق وتجدّد وجه الأرض*" (مز٣: ١ـ٢٩و٣٠).

وإذا كنا نتجدّد بروح الله، فإن الروح الذي يُقال عنه الآن إنه خُلِقَ لا يشير إلى الروح القدس، بل إلى روحنا، وإذا كنتم بكل تأكيد تعتقدون اعتقادًا حسنًا أن الابن ليس مخلوقًا لأن كل الأشياء صارت بالكلمة فكيف لا يعتبر تجديفًا أن تقولوا إن الروح القدس مخلوق، وهو الذي فيه بواسطة الكلمة يكمّل الآب كل الأشياء ويجـدّدها؟ وإذا كانوا، لمجرد أنه كتب، أن الروح قد خُلِقَ، قد توهموا فيما بينهم أن هذا الروح هو الروح القدس، فيلزمهم الآن بالأكثر أن يقتنعوا أن الروح الذي خُلِقَ ليس هو الروح القدس، بل أن روحنا هو الذي يتجدّد به، والذي من أجله يصلي داود قائلاً: "*قلبًا نقيًا اخلق فيَّ يا الله وروحًا مستقيمًا جدد في داخلي*" (مز٥: ١٠). وهنا قد قيل إن الله خلقه، وأما فيما سبق، كما يقول زكريا فإن الله صوَّره كما يقول:

"*باسط السموات ومؤسس الأرض ومصور روح الإنسان في داخلـــه*" (زك١٢: ١). أي ذاك الذي صوره أولاً، عاد وجدّده بعد السقوط، وذلك بأن جاء هو ذاته إلى الخليقة عندما صار الكلمة جسدًا، كي كما قــال الرسول: "*يخلق الاثنين في نفسه إنسانًا واحــدًا جديــدًا، المخلــوق بحسب الله في البر وقداسة الحق*" (أف٢: ١٥؛ ٤: ٢٤). وهــو لا يعنــي بهذا أنه خلق إنساناً آخر غير الإنسان الذي خُلِقَ مــن البــدء علــى صورة الله، بل يتكلم عن العقل الذي خُلِــقَ وتجــدّد فــي المــسيح وينصحهم أن يقبلوه، وهو الأمر الذي يتضح أيضًا من حزقيال عندما يقول هو نفسه: "*اعملوا لأنفسكم قلبًا جديدًا وروحًا جديــدةً. فلمــاذا تموتون يا بيت إسرائيل، لأنـي لا أُسرّ بموت مَنْ يمــوت يقــول الله الرب*" (حز١٨: ٣١و٣٢).

(١٠)

فطالما أن "الروح المخلوق" له هذا المعنى، فيجب علينا أيضًا أن ندرك إدراكًا سليمًا معنى الرعد الذى تأسس من قِبل الله أى الكلمــة الصادقة وناموس الروح غير المتزعزع. ولأن الــرب أراد ليوحنــا ويعقوب أن يخدما الكلمة، فقد دعاهما "بوانرجس" أي "*ابنـي الرعــد*" (مر٣: ١٧). وبالحقيقة، صرخ يوحنا بهذا من السماء قائلاً: "*في البدء كان الكلمة والكلمة عند الله وكان الكلمة الله*" (يو١:١). وأما في القــديم فإن الناموس كان له "*ظل الخيرات العتيدة*" (عــب١٠: ١)، ولكن عندما أُعلِنَ المسيح للبشر وجاء قائلاً: "*أنا الذي أكلمك هو*" (يو٤: ٢٦)، عند

ذلك صار ـ كما قال بولس: " *صوته زعزع الأرض حينئذ وأما الآن فقد وعد قائلاً أني مرة أيضًا أزلزل لا الأرض فقط بل السماء أيضًا. فقوله مرة يدل على تغيير الأشياء المتزعزعة كمصنوعة لكي تبقى التي لا تتزعزع. لذلك ونحن قابلون ملكوتًا لا يتزعزع ليكن عندنا شكر به نخدم الله خدمة مرضية بخشوع وتقوى*" (عب١٢: ٢٦ـ٢٨). وهذا الذي يقول عنه ملكوتًا لا يتزعزع، يراه داود ثابتًا ويرنم: " *الرب قد ملك. لبس الجلال. لبس الرب القدرة تمنطق بها. أيضاً ثبت المسكونة، لا تتزعزع*" (مز٩٣: ١و٢). وعلى ذلك فالنص الذي أورده النبي يشير إلى مجيء المخلّص، الذي به نتجدّد، وبه يظل ناموس الروح ثابتًا.

لكن هؤلاء الذين هم "المحرفون" بالحقيقة، قد اتفقوا مع الآريوسيين واقتسموا معهم التجديف على الألوهية، فبينما قال الآريوسيين عن الابن أنه مخلوق قال هؤلاء عن الروح القدس أنه مخلوق. لقد تجاسر "المحرفون"، كما يؤكدون هم أنفسهم، أن يجدوا لأنفسهم طرقاً، وأن يسيئوا تفسير أقوال الرسول بولس، وما كتبه بصواب إلى تيموثيئوس قائلاً: " *أناشدك أمام الله والرب يسوع المسيح والملائكة المختارين أن تحفظ هذا بدون غرض ولا تعمل شيئًا بمحاباة*"(اتي٥: ٢١). هؤلاء يؤكدون أنه طالما أن الرسول قد ذكر أولاً: الله والمسيح ثم بعد ذلك ذكر الملائكة، فيلزم أن يحسب الروح القدس مع الملائكة ويكون من طغمتهم وهو ملاك أعظم من الملائكة الآخرين.



وفي البداية كانت هذه البدعة من تعليم فالنتينوس[١٧]، ولم يستطع هؤلاء أن يتبينوا واقع الأمر من أنهم كانوا يقولون بتعاليمه. كان فالنتينوس يؤكد أنه كما أُرسِل المعزي، أُرسِل معه ملائكة من نفس العمر. أما هؤلاء إذ أنزلوا الروح القدس إلى طغمة الملائكة، فإنهم قد أضافوا الملائكة إلى الثالوث، لأنه إذا كان الملائكة يجيئون بعد الآب والابن ــ حسبما يؤكدون ــ فلقد أصبح واضحًا أن الملائكة ينتمون إلى الثالوث، وهم ليسوا بعد "*أرواحاً خادمة مرسلة للخدمة*" (عب١: ١٤). ولا ينالون التقديس، بل بالحرى هم أنفسهم يقدِّسون الآخرين.

(١١)

فما أفظع ما يظهر في أقوالهم من غباء، وللمرة الثانية أتساءل: أين وجدوا في الكتب المقدسة أن الروح القدس يدعى ملاكاً؟ أن الضرورة تدفعني لأن أعيد نفس أقوالي السابقة. أن الروح القدس يدعى: المعزي، وروح التبني، وروح القداسة، وروح الله، وروح المسيح، ولكن لم يحدث في أي مكان أن دعى ملاكًا أو رئيس ملائكة أو روحًا خادمًا كالملائكة بل بالأحرى فإن الروح القدس نفسه يُخْدَم مع الابن، كما يبدو من أقوال جبرائيل لمريم: "*الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك*" (لو١: ٣٥). فإذا كانت الكتب لم تسمِ الروح

---

[١٧] هو أستاذ مصري علّم أولاً في الإسكندرية، ولكنه كغيره من الهراطقة، وسّع مجال تعليمه فذهب إلى روما حيث أسس هناك مدرسة وذلك قبل عام ١٥٠م. ولما حرم من الكنيسة أنشأ جماعة خاصة مستقلة، وقد ألف عدة كتب، وله عدة رسائل وأناشيد، ولكن القليل غير المهم هو الذي بقى، وهو أحد الهراطقة الغنوسين المشهورين.

القدس ملاكًا، فأي دفاع لهم إزاء هذه الجسارة التي تخالف بشدة، منطق العقل؟، لأن حتى فالنتينوس الذي بذر فيهم مثل هذه العته، قد دعاه المعزي، أما الأرواح الأخرى فدعاها بالملائكة، وإن كان في شدة جهله، في نفس الوقت، يضع الروح القدس مع الملائكة على قدم المساواة من جهة الزمن.

ولكنهم يقولون إن في نبوة زكريا قد كُتب: " *هذه الأمور قالها الملاك الذي تكلم في داخلي*" (زك١: ٩). وواضح أنه يعني أن الملاك الذي تكلم في داخله هو الروح القدس.

على أنهم ما كان يمكن لهم أن يقولوا هذا القول لو أنهم قرأوا باحتراس، لأن زكريا نفسه عندما رأى الرؤيا التي تختص بالمنارة قال: "*فأجاب الملاك الذي تكلم في داخلي وقال لي أما تعلم ما هذه فقلت لا يا سيدي. فأجاب وكلمني قائلاً هذه كلمة الرب إلى زربابل قائلاً لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي قال الرب القادر على كل شئ*" (زك٤: ٥و٦). فواضح إذن بدرجة كافية، أن هذا الذي تكلّم للنبي كملاك لم يكن هو الروح القدس، ولكنه كان هو نفسه ملاكًا. أما ذاك "*الذي تكلم به*" فهو روح الله القدير. وهو يُخدَم من الملاك، وهو روح الكلمة الذي لا ينفصل عن اللاهوت.

ولكن حيث إنهم يتخذون من قول الرسول مبررًا لهم، نظرًا لأنه أشار إلى الملائكة المختارين في وضعٍ تالٍ بعد المسيح، فليوضحوا لنا أي ملاك من هؤلاء الملائكة جميعهم هو الذي يحسب كواحد من الثالوث. لأنه بكل وضوح لا يمكنهم جميعًا أن يكونوا واحدًا من جهة

العدد، أو من هو الذي من بينهم، ذاك الذي نزل من الأردن في شكل حمامة؟ لأن الملائكة الذين يخدمون هم: "*ألـــوف ألـــوف وربـــوات ربوات*" (دا ٧: ١٠). أو عندما انفتحت السموات، لماذا لم يقل إنه قـــد نزل من السماء ملاك من الملائكة المختارين بـــل قيـــل: "الـــروح القدس"؟ أو عندما تكلّم الرب نفسه إلى تلاميذه عن نهاية العالم، لماذا ميّز بينه وبين الملائكة وقال: "*يرسل ابن الإنسان ملائكته*" (مـــت٢٤: ٤١). وقبل هذا الكلام قيل: "*وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمـــه*" (مت٤: ١١)، وأيضًا يقول هو نفسه: "*يخرج الملائكـــة*" (مـــت١٣: ٤٩). وأما عندما أعطى الروح القدس للتلاميذ فقد قال: "*اقبلـــوا الـــروح القدس*" (يو٢٠: ٢٢). وعندما أرسلهم قال: "*اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس*" (مت ٢٨: ١٩).

إنه لم يضف ملاكًا إلى اللاهوت. وكذلك فإنه لم يوحّدنا معه ومع الآب بواسطة مخلوق بل بواسطة الروح القدس. وعندما وعد بالروح القدس فلم يقل أنه سيرسل ملاكاً بل "*روح الحق الذي من عند الآب ينبثق*" (يو١٥: ٢٦)، والذي يأخذ من الابن ويعطي.

(١٢)

وإذا عرف موسى بيقين أن الملائكة مخلوقات، بينما أن الـــروح القدس متحد مع الابن والآب، فإنه لما قال الله له: "*اذهب وأصعد من هنا أنت وشعبك الذي أصعدته من أرض مصر إلـــى الأرض التـــي حلفت لإبراهيم وأسحق ويعقوب قائلاً لنسلكم سوف أعطيهـــا، وأنـــا*

أرسل أمام وجهك ملاكي وأطرد الكنعانيين" (خر٣٣: ١، ٢)، فاستعفى قائلاً: "*إن لم تسر معنا أنت بنفسك، فلا تصعدني من ههنا*" (خر٣٣: ١٥)، لأنه لم يشأ أن يتقدم الشعب مخلوق، لئلا يتعلّم أن يعبد المخلوق، وليس الله الذي خلق كل الأشياء. وبكل تأكيد فمادام (موسى) قد رفض قبول الملاك، فقد كان يرجو أن يقود الله الشعب بنفسه. أما الله فقد وعده وقال له: "*هذا الأمر أيضًا الذي تكلّمت عنه أفعله. لأنك وجدت نعمة في عيني وعرفتك أكثر من الجميع*" (خر٣٣: ١٧). وكُتِب في إشعياء: "*أين الذي أصعد من الأرض راعي الغنم؟ أين هو الله الذي جعل في وسطهم الروح القدس، الذي قاد موسى بيمينه*" (إش٦٣: ١١و١٢)، وبعد ذلك بقليل يقول: "*الروح نزل من عند الرب وقادهم*" (إش٦٣: ١٤). "*هكذا قدت شعبك لتصنع لنفسك أسم مجد*" (لا ١١: ٤٥).

فمن ذا الذي لا يدرك الحقيقة من خلال هذه الأمور؟ فعندما وعد الله بأنه سيقودهم، فإنه لم يعد بأن يرسل ملاكًا بل روحه الذي هو فوق الملائكة، وهو نفسه الذي كان يقود الشعب، وهكذا تبيّن أن الروح ليس واحدًا من بين المخلوقات، وهو كذلك ليس ملاكًا، بل هو أعلى من الخليقة، وهو متحد بألوهية الآب. لأن الله نفسه، بالكلمة في الروح[١٨]، كان يقود الشعب. ومن ثم، فإنه من خلال الكتاب المقدس كله يقول: "*إني أصعدتكم من أرض مصر، وأنتم شهود إن كان*

[١٨] واضح هنا أن القديس أثناسيوس يرى في (إش٦٣: ١٤) إشارة للأقانيم الثلاثة في الله، وإلى نزول الروح القدس من الابن بمشيئة الآب.



هناك إله غريب بينكم سواى" (لا١٩: ٣٦). والقديسون يخاطبون الله قائلين "*هديت شعبك كالغنم*" (مز٧٧: ٢٠).

وأيضًا: " *هداهم على الرجاء فلم يجزعوا*" (مز٧٧: ٥٣)، وله يرنمون قائلين: " *الذي قاد شعبه في البرية لأن إلى الأبد رحمته*" (مز١٣٦: ١٦)، ويتكلّم موسى العظيم باستمرار قائلاً: " *الرب إلهكم السائر أمامكم*" (تث١: ٣٠). إذن، فإن روح الله لا يمكن أن يكون ملاكًا ولا مخلوقًا، ولكنه خاص بلاهوته. لأنه عندما يكون الروح القدس مع الشعب، يكون الله معهم بالابن في الروح.

(١٣)

ويقول أيضًا نفس الأشخاص: إذا كانت الأمور تؤخذ على هذا النحو، فلماذا إذن، بعد أن ذكر الرسول، اسم المسيح، لماذا لم يذكر اسم الروح القدس، بل ذكر الملائكة المختارين؟

ويمكن أن يوجه إليهم نفس هذا التساؤل: لماذا لم يذكر بولس أسماء لا رؤساء الملائكة ولا الشاروبيم ولا السيرافيم ولا السيادات ولا العروش ولا أية طغمة أخرى، بل ذكر بولس فقط الملائكة المختارين؟ فإذا لم يكن قد أشار إليهم فهل يعني هذا أن الملائكة هم رؤساء ملائكة أم أنه يوجد ملائكة فقط لا سيرافيم ولا شاروبيم ولا رؤساء ملائكة ولا سيادات ولا عروش ولا رئاسات ولا آية طغمة أخرى؟

وهذا معناه أنه قد وضع على الرسول أن يجيب بالضرورة: لماذا

لم يكتب هكذا ولكن كتب باختلاف، ويعني أيضًا أنه يجهل الكتب المقدسة، ولذلك فقد ضل عن الحق، لأنه ها هوذا ما قد كتب في إشعياء: "*تقدموا إليَّ واسمعوا هذه. لم أتكلم من البدء في الخفاء. منذ أن حدث هذا وأنا هناك. والآن السيد الرب أرسلني وروحه*" (إش٤٨: ١٦). وفي حجي: "*والآن تشدد يا زربابل يقول الرب وتشدد يا يهوشع بن يهو صادق الكاهن العظيم يقول الرب، وتشدد يا جميع شعب الأرض يقول الرب واعملوا فإني معكم يقول الرب ضابط الكل وروحي قائم في وسطكم*" (حج٢: ٤، ٥).

فالنبيان يذكران فقط الرب والروح. فماذا سوف يقولون عن هذا؟ لأنهم إذا كانوا قد وضعوا الرب ضمن الملائكة، لأن الرسول إذ ذكر المسيح، صمت عن ذكر الروح وذكر الملائكة المختارين، فلقد صار من المناسب لهم إذن، بناء على أقوال هذين النبيين أن يفكروا بأكثر جرأة عن هذا الذي صمت عنه النبيان. فإذا قبلوا أن الرب هو الابن فماذا سيقولون عن الآب؟ وإذا قبلوا أن الرب هو الآب، فماذا سيقولون عن الابن؟ أي أن النتائج المترتبة على تجديفهم لا يمكن للمرء حتى أن يحسبها. ويكون من الضروري على هؤلاء أن يقولوا إمّا أنه (أي الأقنوم الذي لم يذكر) غير موجود أو أنهم يحسبون هذا الذي صمت عن ذكره، من بين المخلوقات.

(١٤)

وماذا يمكنهم أن يقولوا عندما يسمعون الرب يقول أيضًا: "*كان*

في كورة ما قاضٍ لا يخاف الله ولا يهاب إنسانًا" (لو١٨: ٢). فهل لأنه ذكر الإنسان بعد الله يكون الابن هو ذلك الإنسان الذي لا يهاب القاضي الظالم؟ أم لأنه ذكر الإنسان بعد الله، يكون الابن هو الثالث بعد الإنسان، ويكون الروح القدس هو الرابع؟

وماذا يمكنهم أن يقولوا إذا سمعوا الرسول أيضاً يقول في نفس الرسالة: "*أوصيك أمام الله الذي يحيي الكل وأما يسوع المسيح الذي شهد لدى بيلاطس بنطيوس بالاعتراف الحسن، أن تحفظ الوصية بلا دنس ولا لوم*" (١تي٦: ١٣و١٤). فهل يشكّون في وجود الروح وكذلك في وجود الملائكة لأن الرسول صمت الآن عن ذكر الملائكة وعن ذكر الروح؟ بكل تأكيد هم يشكّون، حيث إنهم فكروا بمثل هذه الأفكار، وجدفوا على الروح.

وماذا يقولون عندما يسمعون البطريرك يعقوب يبارك يوسف ويقول: "*الله الذي رعاني منذ شبابي إلى هذا اليوم، الملاك الذي خلصني من كل شر يبارك هذين الغلامين*" (تك٤٨: ١٥و١٦)، فهل يقدّمون الملاك على الابن لأنه ذكر الملاك بعد الله، أو هل يحسبون الابن بين الملائكة؟ نعم، هكذا أيضًا سوف يفكرون بسبب فساد قلبهم.

ولكن الإيمان الرسولي ليس على هذا النحو، ولا يمكن لأي مسيحي أن يحتمل هذا أبدًا. لأن الثالوث القدوس المبارك هو غير منقسم هو متحد في ذاته. وعندما يسمى الآب فهو يتضمن أيضًا كلمته والروح الذي في الابن. وعندما يسمى الابن يكون الآب في الابن ولا يكون الروح خارجًا عن الكلمة. لأن النعمة التي من الآب

هي واحدة، وهي تتم بالابن في الروح القدس. وهناك ألوهية واحدة وإله واحد الذي هو "*على الكل وبالكل وفي الكل*" (أف٤: ٦). وهكذا إذن عندما قال بولس: "*أناشدك أمام الله والرب يسوع المسيح*" (١تي٥: ٢١). كان يعرف أن الروح لا ينفصل عن الابن وأنه هو نفسه في المسيح كما أن الابن في الآب. ولكنه بالطبع أضاف معهما الملائكة المختارين لأنه كان يعرف أن كل ما كان يقوله كان يقوله كأقوال صادرة من الله بالمسيح في الروح القدس، وأن الملائكة يخدموننا وهم يراقبون أعمال كل منا[١٩]. وقد ناشد التلميذ لكي يحفظ وصايا المعلم باعتبار أن الملائكة الحارسين شهود على أقواله. أو لعله هو هنا يستدعي الملائكة كشهود، لأن هؤلاء ينظرون على الدوام وجه الآب الذي في السموات (مت١٨: ٤)، وذلك من أجل الصغار الذين في الكنيسة[٢٠]، حتى لا يهمل التلميذ وصايا الرسول.

(١٥)

وإذن فإنه يبدو لي أن هذا هو معنى الأقوال الإلهية[٢١]، وهو ينقض

[١٩] يذكر القديس أثناسيوس أن عمل الملائكة بالنسبة للمؤمنين لا يقتصر على حراستهم والعناية بهم، ولكنهم أيضاً يلاحظونهم ويراقبون أعمالهم.

[٢٠] يشير أوريجينوس في كتابه المبادئ "أن كل مؤمن حتى أصغر واحد يتولى حراسته ملاك وهو ممن قيل عنهم إنهم ينظرون وجه الآب الذي في السموات" (المبادئ ٢:١٠:٧).

[٢١] تدخل حجة أثناسيوس ابتداء من هنا مرحلة جديدة: فبعد أن أنهى أثناسيوس على البراهين التي يستند عليها "التروبيكيون" في فهمهم للآيات، يتحول أثناسيوس لمواجهة معارضة مبنية على سوء فهم العلاقات داخل الألوهية الواحدة. ويكرس لهذا الغرض الفصول من ١٥ إلى ٢١ من هذه الرسالة والتي تشكل قلب هذا البحث بالترتيب التالي: =



التجديف غير المعقول الموجه ضد الروح القدس. وحيث إن هؤلاء يستمرون في معارضتهم للحق كما كتبت. فإنهم لا يستندون إلى الكتب المقدسة، لأنهم لا يجدون فيها سند، لكنهم من فيض قلوبهم الخاصة ينطقون ويقولون: " إذا لم يكن الروح القدس مخلوقًا وإذا لم يكن واحدًا من الملائكة ولكنه منبثقًا من الآب، عندئذ يكون هو أخًا فكيف يدعى الكلمة الوليد الوحيد"[٢٢]؟ وكيف لا يكونان متساويين، حيث إن الواحد منهما يسمى بعد الآب بينما يسمى الآخر بعد الابن؟ وإذا كان من الآب فكيف لا يُقال عنه إنه قد وُلِد أو أنه ابن بل فقط الروح القدس؟ وإن كان الروح القدس هو روح الابن فيكون الآب هو جِد للروح القدس.

هكذا يقول هؤلاء الفجار ساخرين، وهم في فضولهم يرغبون أن يفحصوا أعماق الله التي لا يعرفها إلا روح الله وحده الذي يجدفون عليه. ويجب علينا إذن أن لا نرد عليهم إطلاقًا حسب الوصية الرسولية (تي٣: ١٠)، بعد الإنذار الذي وجه إليهم مما قد قيل سابقًا،

= أ ــ ففي فصل ١٥ يقدم المعارضة.

ب ــ وفي فصل ١٦ ينقد المعارضة ويبيّن أنها تناقض نفسها من الداخل لأنها مبنية على فهم خاطئ عن الأبوة في الله.

ج ــ في فصلي ١٧، ١٨ ينقد المعارضة لأنها تصور جنوني.

د ــ وفي الفصول الثلاثة الأخيرة من ١٩ــ٢١ يقدم الخطوط التي ينبغي أن يبني عليها التعليم الصحيح عن الثالوث.

[٢٢] "**الوحيد**" هي في الأصل اليوناني "μονογενής " وتعني الوحيد أو الفريد، وأيضًا تعني "الوليد الوحيد" وبهذا المعنى يرى "ديديموس الأسكندرى" أنها وحدها تكفي لتمييز الابن عن الروح القدس (عن الثالوث الكتاب الثانى ٤٤٧ج).

ولنعرض عنهم كهراطقة ولا نتباحث معهم بعد. ولنسألهم نحن على نحو ما يسألون، ثم نطلب منهم أن يجيبونا على نحو ما يطلبونه منا. فعليهم إذن أن يجيبونا أن كان الآب قد وُلِد من أب، وإذا كان هناك آخر قد وُلِد معه ويكون أخًا له من أب واحد وماذا تكون أسماؤهما، ومَنْ هو أب هذا الآب ومَنْ هو جده، ومَنْ هم أجدادهم؟ على أنهم سوف يؤكدون أنه لا يوجد أجداد. فليقولوا لنا إذن كيف يكون الذي لم يُولد من أب، هو نفسه أبًا، وكيف يمكن أن يكون له ابن إذا لم يكن هو نفسه قد وُلِدَ سابقاً كابن؟

إني أدرك أن هذا السؤال كفري. ولكن حيث إن هؤلاء يسخرون على هذا النحو، يكون من العدل أن يُهزأ بهم لكي يستطيعوا أن يشعروا بحماقتهم من هذا السؤال الكفرى غير المعقول. حاشا أن تكون الأمور كذلك، ولا يجب لأحد أن يسأل أسئلة عن اللاهوت على هذا النحو لأن الله ليس مثل الإنسان حتى يجرؤ أحد أن يسأل عنه أسئلة بشريّة.

(١٦)

فيجب علينا إذن أن نصمت من جهة هذه الأمور كما سبق وأشرنا، وألا نشغل أنفسنا مع هؤلاء. ولكن لئلا يخلق صمتنا، فيهم علّة للأفكار الوقحة فليسمعوا هذا: كما إنه لا يمكننا أن نقول أنه يوجد آب للآب هذا لا يمكننا أن نقول أن هناك أخًا للابن. وكما كتبنا سابقًا، أنه لا يوجد إله آخر غير الآب، هكذا أيضًا لا يوجد ابن آخر غير



الابن لأنه وحيد الجنس. وكما أن الآب هو وحيد وواحد فهو أب لابن وحيد وواحد. أن اسم "الآب" واسم "الابن" وُجِدا دائمًا ويظلان كما هما بصفة دائمة في اللاهوت فقط. لأنه بين البشر إذا دعى شخص ما أباً فهو قد كان سابقًا ابنًا لآخر. وإذا دعى ابنًا فهو مع ذلك أب لرجل آخر. هكذا بالنسبة للبشر فإن اسم "الآب" و "الابن" لا يظل محتفظًا دائمًا بمعناه. فإبراهيم الذي كان ابنًا لتارح صار أبًا لأسحق، وأسحق الذي كان ابنًا لإبراهيم صار أبًا ليعقوب، فإن طبيعة البشر تسير على هذا المنوال، لأنهم أجزاء بعضهم من بعض، فكل من يولد يأخذ جزءاً من أبيه لكي يصير هو نفسه أيضاً أباً لآخر.

ولكن في اللاهوت فليس الأمر على هذا النحو. لأن الله ليس مثل الإنسان، وجوهره لا يتجزأ. ومن أجل ذلك فإنه لم يتجزأ لكي يلد الابن حتى يصير أبًا لآخر، لأنه هو نفسه لم يكن من أب، وكذلك فالابن ليس جزءًا من الآب، ولذلك فهو لم يلد كما وُلِدَ هو نفسه، بل هو صورة كلّية للكامل وهو إشعاعه[٢٣]. وفي اللاهوت فقط، فإن الآب

[٢٣] انظر المقالة الثانية ضد الآريوسيين حيث يقول القديس أثناسيوس : "هو كإشعاع النور مولود كامل من كامل ولهذا فهو الله كما أنه صورة الله" (ضد الآريوسيين ٢: ٣٥ ترجمة الأستاذ صموئيل كامل، والدكتور نصحي عبد الشهيد نشر مركز دراسات الآباء يناير ١٩٨٤). والقديس أثناسيوس هنا يصحح بواسطة "مفهوم الصورة"، سوء استخدام الآريوسيين لتطبيق التوالد في عالم البشر على بنوة المسيح الإلهية. وتكرار استعماله لألفاظ: "كلّي... وكامل" يشير إلى تكامل وكمال وعدم تجزؤ الطبيعة الإلهية في مقابل الانقسام والتجزؤ في طبيعة البشر. فيؤكد أن الابن ليس صورة منعكسة من الآب أو منبعثة بل هو الصورة الكاملة لكل ما هو الله في جوهره.

وكما أن استعمال لفظ " ὅλος يستبعد معنى التجزؤ والنقص، هكذا فإن لفظ εἴκον" تتضمن وحدة الابن مع الآب ووجوده في الآب. ويقول القديس أثناسيوس في مقالته الأولى ضد=

هو أب بالمعنى الأصيل والابن هو ابن بالمعني الأصيل. وبالنسبة لهما يكون صحيحًا أن الآب هو أب على الدوام، والابن هو ابن على الدوام. وكما أن الآب لن يكون ابنًا أبدًا كذلك أيضًا لن يصير الابن أبًا مطلقًا. وكما أن الآب لم يكف أبدًا عن أن يكون الآب الوحيد، هكذا فلن يكف الابن أبدًا عن أن يكون الابن الوحيد.

وعلى ذلك يكون من اختلال العقل أن نتصور وجود أخ للابن، وأن نعطي للآب اسم الجد. لأنه لم يحدث مطلقًا أن دعى الروح القدس في الكتب المقدسة ابنًا حتى لا يعتبر أنه أخ للابن وكذلك لم يدع ابنًا للابن حتى لا يعتبر أن الآب جد. لكن الابن دعى ابنًا للآب، والروح دعى روح الآب. وهكذا يكون لاهوت الثالوث القدوس واحدًا والإيمان به واحدًا.

(١٧)

وهكذا يكون من غير المعقول أن ندعو الروح مخلوقًا، لأنه لو كان مخلوقًا لما كان من الممكن أن يحسب مع الثالوث القدوس لأن كل الثالوث هو إله واحد. ويكفي لنا أن نعرف أن الروح ليس مخلوقًا ولا يحسب ضمن المخلوقات لأن الثالوث لا يختلط به أي شيء غريب، وهو غير قابل للتقسيم وهو متماثل مع ذاته. هذه الحقائق

=الآريوسيين "إن أعداء الله هؤلاء إنما يخترعون تشنيعات وافتراءات إذ أنهم لكي لا يعترفوا بأن الابن هو صورة الآب، فأنهم يتصورون صفات جسدية وأرضية فيما يخص الآب ذاته، ناسبين إليه التقسيمات والتوالد والحمل" (ضد الآريوسيين١: ٢٠ ترجمة الأستاذ صموئيل كامل والدكتور نصحي عبد الشهيد يناير ١٩٨٤).

كافية للمؤمنين. وإلى هذا الحد تبلغ المعرفة البشرية. وعند هذا الحد تحجب الشاروبيم بأجنحتها. أما من يريد أن يبحث ما هو أبعد من ذلك فهو يخالف ذلك قال: "*لا تكن حكيمًا بزيادة حتى لا تربك نفسك*" (جا٧: ١٦).

لأن هذا الذي سلّم إلينا بواسطة الإيمان لا يجوز لنا أن نقيّمه بمقاييس الحكمة البشرية بل بسمع الإيمان. لأن أي عقل يمكنه أن يفسر بإحكام، الأمور التي تعلو على الطبيعة المخلوقة؟. وأي سمع يمكنه أن يدرك الأشياء التي لا يسوغ للبشر أن يسمعوها أو أن ينطقوا بها؟. لأن ما سمعه بولس فقد تكلّم به. أما عن الله نفسه فيقول: "*ما أبعد طرقه عن الاستقصاء لأن من عرف فكر الرب أو من صار له مشيرًا*" (رو١١: ٢٣و٢٤). وإبراهيم لم يقحم نفسه بفضول ولم يباحث من تكلّم معه بل "*آمن فحسب له برًا*" (رو٤: ٣). وعلى هذا النحو أيضًا دعى موسى "*خادمًا أمينًا*" (عب٣:٥).

أما إن كان الذين لهم نفس فكر آريوس لا يستطيعون أن يدركوا ولا أن يؤمنوا أن الثالوث القدوس غير قابل للتقسيم لأن الحكمة لا تدخل عقولهم غير المصقولة، فعليهم أن لا يسيئوا تفسير الحق لهذا السبب ولا أن يقولوا أن ما لا يستطيعون أن يدركوه هو غير موجود فالآريوسيون، إذ لم يستطيعوا أن يدركوا كيف أن الثالوث القدوس غير قابل للتقسيم جعلوا الابن واحدًا من المخلوقات، أما "المحرّفون" فيحسبون الروح القدس ضمن المخلوقات. ولكنهم كان يجب عليهم أما أن يصمتوا تمامًا بسبب عدم فهمهم، فلا يضع الآريوسيون الابن

ضمن المخلوقات، ولا يـضع المحرّفـون الـروح القـدس ضـمن المخلوقات. أو أن يدركوا المكتوب ويوحّدوا الابـن مـع الآب ولا يفصلوا الروح القدس عن الابن حتى يمكنهم أن يحافظوا حقيقة على وحدة الطبيعة غير المنقسمة التى للثالوث القدوس. وحيث إن هؤلاء قد تعلموا هذه الأمور كان يجب عليهم أن لا يتجرأوا ويسألوا بـشك، كيف يمكن أن تحدث هذه الأمور حتى لا يبتدعوا آراء خاطئة عندما يكون الشخص الذي يسألونه عاجزًا عن الإجابة. لأنـه مـن غيـر الممكن بالنسبة لجميع المخلوقات وعلى الأخص بالنسبة لنـا نحـن البشر أن نتكلّم بجدارة عن الأمور المكتومة. والأكثر سـوءًا، أننـا عندما لا نستطيع أن نتكلّم عن هذه الأمور، فأننا نخترع كلمات جديدة مخالفة لما في الكتب المقدسة. وفضلاً عن ذلك فإن مثل هذه المحاولة هي غير معقولة سواء بالنسبة للسائل أو بالنسبة لمن يحاول الإجابـة بطريقة ما. لأن من يسأل أسئلة على هذا النحو عن المخلوقات فـلا يعتبر تفكيره سليمًا.

(١٨)

وليتجاسر هؤلاء الذين يجيبون بسهولة على كل شئ، أن يخبرونا كيف خُلِقت السموات، ومن آية مادة، وطبيعة تكوينها، أو كيف خُلِقت الشمس وكل واحد من الكواكب. وليس هناك أية غرابـة إذا كـشفنا جهلهم بالنسبة للأشياء التي فوقنا ونحن بكل تأكيد نجهل كيف خُلِقت وما هي طبيعة النباتات التي توجد هنا تحت، والمياه، والحيوانات، بل



أنهم سوف لا يستطيعون أن يجيبوا على هذه التساؤلات. لأنه حتى سليمان وهو الأكثر حكمة من الجميع، رأى أنه من غير الممكن للإنسان أن يكتشف هذه الأمور وكان يقول: " *جعل الأبدية في قلبهم، ومع ذلك لا يستطيع الإنسان أن يدرك العمل الذي عمله الله من البداية إلى النهاية*" (جا٣: ١١). وحيث إنهم لم يستطيعوا أن يدركوها فإنهم أيضًا لم يعترفوا بها. نعم أنهم لم يعترفوا بها لأن عقولهم قد انحرفت. وعلى ذلك يمكن للمرء أن يسألهم قائلاً: "يا عديمي العقل يا متجاسرين دائمًا، لماذا لا تكفون بالحرى عن أسئلتكم الفضولية عن الثالوث القدوس؟، ولماذا لا تؤمنون فقط أنه موجود؟ متخذين الرسول معلمًا لكم في هذا الأمر عندما يقول: "*يجب أن الذى يأتى إلى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يجازي الذين يطلبونه*" (عب١١: ٦). لأنه لم يقل كيف يوجد ولكنه قال فقط "إنه موجود". فإذا لم يكونوا، بعد كل هذا قد أخفوا وجوههم من الخجل فليقولوا لنا كيف يوجد الآب حتى يمكنهم أيضًا أن يعلموا كيف يوجد كلمته.

وإن كانوا سيقولون أنه من غير اللائق أن نتساءل هكذا عن الآب، فدعهم يسمعون أنه أيضًا من غير اللائق أن نتساءل هكذا عن كلمته أيضًا.

(١٩)

وإذن فحيث إن مثل هذه المحاولة هي جنون خطير بل أكثر من جنون فليس لأحد أن يسأل بعد مثل هذه الأسئلة، بل عليه أن يتعلّم

فقط ما هو في الكتب المقدسة. لأن الأمثلة التي تتضمّنها النصوص عن هذا الأمر هي كافية وشديدة الوضوح. وهكذا فالآب يدعى ينبوعًا ونورًا لأنه يقول "*تركوني أنا ينبوع المياه الحيّة*" (إر٢: ١٣). وأيضًا في باروخ "*لماذا أنت يا إسرائيل في أرض أعدائك؟ لقد تركت ينبوع الحكمة*" (باروخ٣: ١٠ــ١٢)، وأيضًا حسب يوحنا "*إلهنا نور*" (١يو١: ٥).

وأمّا الابن فمن جهة علاقته بالينبوع يدعى نهرًا: "*نهر الله ملآن ماء*" (مز٦٤: ٩). ومن جهة علاقته بالنور يدعى اشعاعًا[٢٤]. إذ يقول بولس "*الذي هو شعاع مجده ورسم جوهره*" (عب١: ٣). ومن ثم حيث إن الآب نور والابن هو شعاعه، فلا ينبغي أن نتحاشى تكرار نفس الأشياء عنهما مرات كثيرة. ويمكننا أن نرى في الابن، "الروح" الذي بواسطته نستنير[٢٥]. "*لكي يعطيكم روح الحكمة والإعلان في معرفته*

---

[٢٤] أي نور يشع نورًا، أي أن الابن نور مشع من الآب، وهكذا نفهم نص قانون الإيمان "نور من نور". بعكس فهم "إشعاع" بمعنى نور مقتبس من نور آخر مثلما يأخذ السراج نوره من سراج آخر فيكون تعبيرًا عن الانقسام والتجزئة في عالم المخلوقات، والتي لا وجود لها في طبيعة الله الثالوث.

[٢٥] يوضح القديس أثناسيوس هنا أننا يمكن أن نرى الروح في الابن، وهذا ما يذكره صراحة في الرسالة الأولى عندما يقول: "وكما أن الابن، الكلمة الحي، هو واحد، هكذا فإن القوة الحيوية والعطية التي بها يقدس ويضيئ ينبغي أن تكون واحدة كاملة وتامة" (رسالة١: ٢٠). ويقول أيضًا: "أنه حيث يكون النور فهناك الشعاع أيضًا، وحيث يكون الشعاع فهناك أيضًا فاعليته ونعمته المضيئة" (رسالة ١: ٣٠). ومع تأكيد القديس أثناسيوس على وحدة الروح والابن، فإنه يهتم أن يؤكد أيضًا تميز الأقانيم كما يبدو في كلماته في الفصل ٢٨ من هذه الرسالة إذ يقول: "الآب بالكلمة في الروح القدس يعمل كل الأشياء... وهكذا يكرز بإله واحد في الكنيسة" "*الذي على الكل وبالكل وفي الكل*" (أف٤: ٦). "على الكل" كآب وكبدء وكينبوع، و "بالكل" أي بالكلمة، "وفي الكل" أي في الروح القدس. هو ثالوث ليس فقط بالاسم وصيغة الكلام بل بالحق والوجود الفعلي. لأنه كما أن الآب هو الكائن الذي يكون، هكذا أيضًا **الكلمة** هو الكائن والإله على الكل. والروح القدس ليس بدون وجود=

مستنيرة عيون قلوبكم" (أف١: ١٧و١٨). ولكن حينما نستنير بـالروح، فالمسيح هو الذي ينير فيه (أي في الروح) لأنه يقول "*كـان النـور الحقيقي الذي ينير كل إنسان، آتيًا إلى العالم*" (يو١: ٩) وأيضًا حيث إن الآب ينبوع، والابن يسمى نهراً، لذلك نقول أننا نشرب الروح لأنـه مكتوب " *جميعنا سقينا روحًا واحدًا*" (١كـو١٢: ١٣) ولكن حينما نشرب الروح، فإننا نشرب المسيح. "*لأنهم كانوا يـشربون مـن صـخرة روحية تابعتهم، والصخرة كانت المسيح*" (١كو١٠: ٤). وبالإضافة إلى ذلك، كما أن المسيح ابن حقيقي، فإننا عندما نأخذ الـروح "نـصير أبناء"[٢٦]. لأن الكتاب يقول "*إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبني*" (رو٨: ١٥). وإن كان بالروح قد صـرنا أبنـاء فواضح أننا في المسيح ندعى أولاد الله لأن "*كل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله*" (يو١: ١٢). وعلى ذلك، فكمـا أن الآب هو "الحكيم الوحيد" كما قال الرسول بولس، فإن الابن هو "حكمتـه"، "*المسيح قوة الله وحكمة الله*" (١كو١: ٢٤). وحيـث إن ابـن الله هـو الحكمة وابن الحكمة، فإننا إذ نأخذ روح الحكمة، نملك الابـن، وبـه نصير حكماء. لأنه هكذا هو مكتوب في المزمور المئـة والخـامس

=حقيقي بل هو يوجد وله كيان فعلي. وليس بأقل من هؤلاء الثلاثة تعتقد الكنيسة الجامعة لئلا تنزلق إلى أفكار اليهود المعاصرين الرديئة وإلى أفكار سابيليوس، كما أنها لا تعتقد بأكثر من ثلاثة لـئلا تتدحرج إلى تعدد الإلهة عند اليونانيين (رسالة١: ٢٨).

[٢٦] انظر المقالة الثالثة ضد الآريوسيين للقديس أثناسيوس، وديديموس على الثالوث Didymus de Trin. II, 748c، حيث "نصير أبناء"، "نصير آلهة" يُقال إنهما من عمل الـروح القـدس. وهـذان التعبيران يعبران عن فكرة واحدة، والقديس أثناسيوس عمومًا يفضل تعبير "نصير آلهة".

والأربعون: "*الرب يحل المأسورين، الرب يفتح أعين العميان*" (مز١٤٥: ٧و٨). وحينما يُعطى لنا الروح القدس، (قال المخلّص "*اقبلوا الروح القدس*")، يقيم الله فينا، لأنه هكذا كتب يوحنا: "*إن أحب بعضنا بعضاً فالله يقيم فينا، بهذا نعرف أننا نقيم فيه وهو فينا، لأنه قد أعطانا من روحه*" (١يو٤: ١٢و١٣). وحيث إن الله يوجد فينا، يكون الابن أيضًا فينا. لأن الابن نفسه قال: "*الآب وأنا نأتي ونصنع عنده منزلاً*" (يو١٤: ٢٣). وأيضًا، حيث إن الابن هو الحياة لأنه يقول "*أنا هو الحياة*" (يو١٤: ٦). فإننا نحن أيضًا سنحيا بالروح، لأنه يقول: "*الذي أقام المسيح من بين الأموات سيحيي أجسادكم المائتة بروحه الساكن فيكم*" (رو٨: ١١). وحيث إننا مُحيون بالروح، فالمسيح نفسه يحيا فينا، لأنه يقول "*مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ*" (غلا٢: ٢٠). وأيضًا، قال الابن إن الأعمال التي عملها هو، عملها الآب لأنه يقول "*الآب الحال فيَّ هو يعمل الأعمال. صدقوني أني في الآب والآب فيَّ، وإلا فصدقوني بسبب الأعمال نفسها*" (يو١٤: ١٠ــ١٢). وهكذا أيضًا قال بولس إن الأعمال التي عملها بقوة الروح هي أعمال المسيح: "*لأني لا أجسر أن أتكلم عن شئ مما لم يفعله المسيح بواسطتي لأجل إطاعة الأمم بالقول والفعل بقوة آيات وعجائب، بقوة الروح القدس*" (رو ١٥: ١٨، ١٩).

(٢٠)

وإذن، حيث إنه توجد مثل هذه المماثلة وهذه الوحدة في الثالوث

القدوس فمن يمكنه أن يفصل الابن عن الآب أو يفصل الروح عــن الابن أو عن الآب نفسه؟ ومن تصل به الجرأة حتى يقول أن أقــانيم الثالوث غير متماثلة فيما بينهما، ومختلفة في الطبيعة، أو أن الابــن جوهر غريب عن الآب، أو أن الروح غريب عن الابن.

ولكن بأية طريقة يمكن أن تحدث هذه الأمور؟ فإن كان أحد أيضًا يسأل ويبحث قائلاً: كيف حينما يوجد الروح فينا، يُقال إن الابن فينا؟ وحينما يكون الابن فينا فكيف يُقال إن الآب فينــا؟ وعنــدما يكــون الثالوث حقًا ثالوثًا، فكيف يُفهم أنه واحد. أو لماذا حينما يكون أحــد أقانيم الثالوث فينا، يُقال إن الثالوث موجود فينا؟ فعلى هذا أن يفصل أولاً الشعاع عن النور، أو يفصل الحكمة عن الحكــيم، أو فليخبرنــا كيف تكون هذه الأمور؟.

ولكن إن كانت هذه الأمور من غير الممكن أن تحدث، فإن توجيه مثل هذه الأسئلة عن الله يكون جرأة جنونية، لأن الألوهية لا تسلّم لنا بواسطة براهين كلامية بل بالإيمان مع التفكير بتقوى ووقــار، فــإن كان بولس قد كرز بصليب المخلّص "*لا بكلام الحكمة بل ببرهــان الروح القدس*" (١كو٢: ٤) وقد سمع في الفردوس "*كلمات لا ينطق بها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها*" (٢كو١٢: ٤) فمَنْ يستطيع أن يتكلّم عن الثالوث القدوس نفسه؟

ومع ذلك فيمكننا أن نعالج هذه الصعوبة أولاً، بالإيمان، وبعد ذلك باستعمال ما سبق أن ذكرناه مــن أمثلــة أي: الــصورة والــشعاع، والينبوع والنهر، والجوهر والرسم. وكما أن الابن هو فــي الــروح



الذي هو صورته الخاصة[٢٧]، هكذا الآب أيضًا في الابن. لأن الكتاب الإلهي ــ لكي يعالج عجزنا عن شرح وفهم هذه المعاني بالكلمات ــ قد أعطانا مثل هذه الأمثلة، حتى بسبب عدم إيمان هؤلاء المتجاسرين، يمكننا أن نشرح بأكثر وضوح، وأن نتكلّم بدون التعرض لخطر الضلال. وأن نفكر بطريقة مشروعة، وأن نؤمن بقداسة[٢٨] واحدة مستمدة من الآب بالابن في الروح القدس. لأنه كما أن الابن هو وليد وحيد[٢٩]، هكذا أيضًا الروح إذ هو مُعطّى ومُرسل

[٢٧] قد سبق أثناسيوس واستعمل هذا التشبيه عن الابن. وهو الآن يستعمله عن الروح، ويضيف مجموعة من الآيات المماثلة ليبيّن كيف أن رسم الابن يوجد كما في الروح. واستعمال هذا التشبيه هو أقدم من أثناسيوس، لأن غريغوريوس العجائبي في: "اعترافه" يتحدث عن الروح على أنه صورة الابن، بل في الحقيقة ربما يرجع هذا التشبيه إلى إيرينيوس، انظر Hare. IV. Viii. 4، كما نجد أن ديديموس يأخذ هذا التشبيه في كتابه عن الثالوث (Dr Trin. II 504 B) وانظر أيضًا القديس باسيليوس ضد أونوميوس (Basil, adv. Eun. V 724c, etc.). واستمرار استعمال هذا التشبيه يتضح من ظهوره في كتابات يوحنا الدمشقي (القرن الثامن) مثل كتاب "في الإيمان الأرثوذكسي De Fid. Orth.". ونلاحظ أن ما يقوله أثناسيوس هنا يكمّل ويؤيد الحقيقة التي سبق أن ذكرها في القسم السابق أن **الروح يمكن أن يُرى في الابن**.

[٢٨] إن وحدة الطاقة (القوة ἐνεργία) تستلزم وحدة الجوهر، لذلك فلو أن هناك انقسامًا في الجوهر حسب تصور التروبيكيين فهذا يستلزم تعدّد الطاقات (القدرات). ويجد أثناسيوس في هذه الحقيقة تعليلاً لتعليمه اللاهوتي عن النعمة الإلهية الواحدة للثالوث الواحد، والتى تمدنا بقداسة واحدة.

[٢٩] "**وليد**" (Γεννημά) لا يجد القديس أثناسيوس أية صعوبة في استعمال هذه الكلمة عن المسيح رغم أن كل من اتيوس وأفنوميوس الآريوسيين يستعملونها كمرادفة لكلمة مخلوق أو مصنوع. ويقول القديس أثناسيوس في مقالته ضد الآريوسيين٣: ٤، إن طبيعة الابن هي نفسها طبيعة الآب "لأن الوليد ليس مغايرًا لأنه هو صورته وكل ما هو للآب هو للابن" "لأن الشعاع هو أيضًا نور ليس ثانيًا بعد للشمس ولا هو نور مختلف، ولا بمجرد المشاركة فيها، بل هو وليد كامل وخاص بها. ومثل هذا المولود هو بالضرورة نور واحد، ولا أحد يستطيع أن يقول إنه يوجد نوران.=



من الابن، هو نفسه واحد وليس كثيرين، وليس واحدًا من كثيرين، بل هو نفسه وحيد. إذن، كما أن الابن ــ الكلمة الحي ــ هو واحد، هكذا فإن القوة الحيوية والعطيّة التي بها يقدس ويضئ، ينبغي أن تكون واحدة كاملة وتامة، وهي التى يُقال عنها إنها تنبثق من الآب، لأنها من الكلمة ــ الذي يعترف أنه من الآب ــ وهى التى تشرق وتُرسل وتُعطى. فالابن إذن، يُرسَل من الآب، لأنه يقول: " *هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد*"(يو٣: ١٦). والابن يرسِل الروح فهو يقول: " *إن ذهبت أرسل المعزي*" (يو١٦: ٧). الابن يمجد الآب قائلاً: "*أيها الآب أنا مجدتك*" (يو١٧: ٤)، بينما الروح يمجد الابن، لأنه يقول: ذلك يمجدني (يو١٦: ١٤). وبينما يقول الابن: "*ما سمعته من الآب فهذا أقوله للعالم*" (يو٨: ٢٦)، فإن الروح يأخذ من الابن لأنه يقول: "*لأنه يأخذ مما لي ويخبركم*" (يو١٦: ١٤)[٣٠]. والابن أتى باسم الآب، أما الروح القدس فيقول عنه الابن: "*الروح القدس الذي سيرسله الآب*

=فرغم أن الشمس والشعاع هما اثنان، إلا أن هناك نور واحد ينبعث من الشمس ويضيئ بشعاعه كل الأشياء".

[٣٠] " **يأخذ من الابن**": على غير ما يحاوله بعض المفسرين خطأ من الاستناد إلى هذه الآية لكي ينسبوا أصل الروح الأزلي إلى الابن مع الآب، فإننا نجد أن القديس أثناسيوس هنا يشرح هذه الآية على أنها تشير فقط إلى مجرد إرسال الروح القدس من الابن، إذ هو يقارن بين ما سمعه الابن من الآب وتكلّم به في (يو٨: ٢٦)، وبين ما يسمعه الروح القدس من الابن ويتكلّم به، كما يقول الرب يسوع ــ في الفقرة التي اقتبس منها هنا القديس أثناسيوس ــ عن علاقة الروح بالابن "*لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به.. لأنه يأخذ مما لي ويخبركم*" (يو١٦: ١٣، ١٤). وعلى ذلك فإن الآية التالية التي يقول فيها: "*كل ما للآب فهو لي*" تنحصر هنا في عمل الإخبار بما يسمع، لأن الرب يكمل قائلاً: "*لهذا قلت إنه يأخذ مما لي ويخبركم*" (يو١٦: ١٥).

باسمي" (يو ١٤: ٢٦).

(٢١)

فإذا كان الروح له مثل هذه الرتبة والطبيعة[٣١] مع الابن، مثل ما للابن مع الآب، فإن ذاك الذي يدعو الروح مخلوقًا، أفلا يقول نفس الشئ بالضرورة عن الابن أيضًا؟ لأنه إن كان الروح مخلوقًا من الابن فإن هذا يقتضيهم أن يقولوا إن الكلمة مخلوق من الآب. لأن الآريوسيين إذ قد تصوروا مثل هذه التصورات فقد سقطوا في يهودية قيافا. ولكن إن كان هؤلاء الذين يقولون مثل هذه الأشياء عن الروح يدعون أنهم لا يأخذون بتصورات آريوس، فدعهم يتحاشون كلماته، وألاّ يتكلّموا بعدم تقوى عن الروح. لأنه كما أن الابن الذي هو في الآب والآب هو فيه، ليس مخلوقًا بل هو من جوهر الآب ذاته (لأن هذا هو ما تدعون أنكم تقولونه أيضًا)، هكذا أيضاً فإن الروح الذي هو في الابن والابن فيه، ليس مسموحًا أن يُحسب بين المخلوقات، ولا أن نفصله عن الكلمة ولا أن نقدم الثالوث بصورة غير كاملة.

وفيما يخص أقوال كل من النبى والرسول التي خدعوا أنفسهم بتحريفهم إياها، فإن هذه الاعتبارات تكفي لكي تبين أقوال هؤلاء

---

[٣١] كلمة رتبة "Τάξις" هنا ليست ترتيبًا عدديًا بل تعني "وضع" Rank، فالقديس أثناسيوس لا يقصد أن الروح يأتي في الترتيب بعد الابن مثلما يأتي الابن بعد الآب بل هو يعني ببساطة أن وضع الروح مع الابن هو تماماً مثل وضع الابن مع الآب. ويستعمل القديس أثناسيوس كلمة الطبيعة "φύσις" بعد كلمة رتبة لكي يوضح أن المقصود بكلمة "رتبة" ليس مجرد وظيفة أو امتياز معين بل وحده الجوهر بين الأقانيم الثلاثة.

المحرّفين الشريرة التي أدى إليها جهلهم. ويتبقى علينا إذن أن ننظر في الأقوال التي وردت عن الروح القدس في الكتب الإلهية، واحـــدًا فواحدًا، وكصرافين مهرة فلنحكم، هل الروح فيه أي شـــئ يخـــتص بالمخلوقات أم هو خاص بالله، وذلك لكي ندعوه أما مخلوقًا أو أنـــه يختلف عن المخلوقات وينتمي إلى – كما أنه واحد مع اللاهوت فـــي الثالوث الذي لا ابتداء له. وربما ــ على هذا النحو يخجلون حينمـــا يتحققون إلى أي درجة أن كلمات التجديف التي اخترعوها هي غير متوافقة مع الأقوال الإلهية.

(٢٢)

وإذن فالخلائق قد أتت من العدم إذ لها بداية لوجودها، لأنه "*في البدء خلق الله السموات والأرض*" (تك١:١) وكل ما هو موجود فيهـــا. وأما الروح القدس فقد قيل عنه أنه من الله، لأنه يقول: "*لأن مَنْ منِ الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه، هكذا أيـــضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله ونحن لم نأخذ روح العالم بـــل الروح الذي من الله*" (١كو٢: ١١و١٢). وعلى أساس ما سبق، فأية قرابة إذن يمكن أن توجد بين الروح وبين المخلوقات؟ فالمخلوقات لم يكن لها وجود بينما أن الله هو الكائن، والروح هو منه. والذي هو من الله لا يمكن أن يكون مما هو غير كائن، ولا يمكن أن يكون مخلوقاً لئلا يُظن ــ حسب تقديرهم ــ أن (الله) الذى منه الروح القدس هو أيضًا مخلوق. فمن إذن سوف يحتمل مثل هذه التجاديف؟ لأنهـــم يقولـــون

أيضاً في قلوبهم "*ليس إله*" (مز١٣: ١)؟. لأنه إن كان أحد لا يعــرف أمور الإنسان إلاّ روح الإنسان الذي فيه، هكذا أيضًا لا أحد يعــرف أمور الله إلا الروح الذي فيه، أفلا يكون تجديفًا أن يدعى الروح الذي في الله مخلوقًا، وهو الذي يفحص حتى أعماق الله؟ لأنه علــى هــذا الأساس سيكون من الضروري أن يقبل المــتكلّم أن يقــول إن روح الإنسان هو خارج عن الإنسان نفسه، وأن الكلمة الذي في الآب هــو مخلوق.

وأيضاً الروح هو روح القداسة والتجديد[٣٢] ويــدعي هكــذا. لأن بولس يكتب: "*وتعيّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات. يسوع المسيح ربنا*" (رو١: ٤). ويقول أيضًا: "*لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنــا*" (اكــو٦: ١١).

---

[٣٢] "**روح القداسة والتجديد**": يرى القديس أثناسيوس أن القداسة هي الخاصية المميزة للروح، وهذا نجده أيضًا في تفسير القديس أثناسيوس للآية (يو١٧: ١٩) في المقالة الأولى ضد الآريوسيين حيث يقول: "كوني أنا كلمة الآب، فأنا نفسي أُعطي ذاتى الروح، حينما أصير إنساناً. وأنا الصائر إنساناً، أقدس نفسى (فى الاب) لكي يتقدس الجميع فيَّ، أنا الذي هو الحق (لأن كلمتك أنت هى الحق) [ضد الآريوسيين١: ٤٦ ترجمة الأستاذ صموئيل كامل والدكتور نصحي عبد الشهيد صفحة ٨٩ مركــز دراسات الآباء ١٩٨٤ القاهرة]. وكون القديس أثناسيوس ــ عندما يتحدث عن الــروح ــ يــضيف كلمة التجديد بعد كلمة القداسة فهذا يبيّن أنه لا يفصل بين القداسة وبين تجديد الطبيعة وأعادتها إلى عدم الفساد. وهذا ما يتحدث عنه أيضاً في كتابه تجسد الكلمة (فصول من ٤ــ١٠) دون أن يــشير إلى الروح القدس. والقديس أثناسيوس يستعمل عبارة نصير إلهيين في تجسد الكلمة ٥٤: ٣ كمرادف للتجديد أو إعادة الطبيعة البشرية إلى عدم الفساد أو عدم الموت، كنتيجة لتجسد الكلمة. وكــل هــذه التعبيرات المستعملة في هذا الجزء من الرسالة تشير إلى نفس هذه العملية التي يصيغها بتعبيــرات متنوعة في المناسبات المختلفة سواء نسبها إلى الكلمة أو إلى الروح، (مثال انظر فصل ٢٤ من هذه الرسالة).



وحينما يكتب إلى تيطس يقول: "*لكن ظهر لطف مخلصنا الله ومحبته للبشر، لا بأعمال في بر عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلصنا بحميم الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس الذي سكبه علينا بغنى بيسوع المسيح مخلصنا. حتى إذا تبررنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية*" (تي٣: ٤ــ٧). وأما المخلوقات فتتقدّس وتتجدّد: "*ترسل روحك فتخلق وتجدد وجه الأرض*"(مز١٠٤: ٣٠) ويقول بولس: "*لأن الذين استنيروا مرة وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس وسقطوا لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة*" (عب٦: ٤ــ٦).

(٢٣)

وإذن فإن ذلك الذي لا يتقدّس بواسطة آخر، ولا يأخذ القداسة، بل هو نفسه الذي يُشتَرك فيه، والذي فيه تتقدّس كل المخلوقات، فكيف يمكن أن يكون واحداً من بين الكل، أو يكون من خاصة أولئك الذين يشتركون فيه؟ لأن أولئك الذين يقولون هذا يلزم أن يقولوا إن الابن الذي به وُجِدت كل الأشياء، هو واحد من بين كل هذه الأشياء.

هو يدعى روح محيي لأنه يقول: "*الذي أقام يسوع من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم*" (رو٨: ١١). والرب هو الحياة نفسها، وهو "بادئ الحياة" كما قال بطرس (أع٣: ١٥)، بل والرب نفسه قال: "*الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية... قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه*" (يو٤: ١٤؛ ٧: ٣٩). ولكن المخلوقات كما قيل، تنال الحياة به.

فذلك الذي لا يأخذ الحياة بل هو نفسه الذي تؤخــذ منـــه، ويحيـــي المخلوقات فأية قرابة يمكن أن تكون بينه وبين الأشـــياء المخلوقـــة؟ كيف يمكن أن يكون من بين المخلوقات التي تنال الحيـــاة بـــه مـــن الكلمة؟.

والروح يدعى مسحة وهو الختم لأن يوحنا يكتـــب: "*أمـــا أنـــتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكـــم أحد بل كما تعلمكم مسحته*" روحه، "*عن كل شئ*" (١يو٢: ٢٧). وكذلك كُتِب في إشعياء النبي: "*روح الرب عليَّ لأن الرب مسحنى*" (إش٦١: ١) ويقول بولس: "*الذي فيه أيضاً أنتم إذ آمنتم... ختمتم ليوم الفداء*" (أف١: ١٣؛ ٥: ٣٠). والمخلوقات تُختم وتُمسح بواسطته وتتعلّم منه كل شئ. ولكن إن كان الروح هو المسحة والختم الذي به يمسح **الكلمـــة** كل الأشياء ويختمها، إذن فأي شبه أو انتماء للمـــسحة والخـــتم مـــع الأشياء التي تُمسح وتُختم؟ وبناء على هذا لا يمكن أن يكون الـــروح من بين كل المخلوقات. فالختم لا يمكن أن يكون من بين الأشياء التي تُختم، والمسحة لا يمكن أن تكون من بين الأشياء التي تُمسح، ولكنه يخص الكلمة الذي يَمسح والذي يَختم، لأن المسحة لها أريج ورائحة من يمسح، وأولئك الذين يمسحون يقولون حينما ينالونهـــا: "*نحـــن رائحة المسيح الزكية*" (٢كو٢: ١٥). والختم له صورة المـــسيح الـــذي يختم، والذين يُختمون يشتركون في الختم ويتشكّلون حسبه، كما يقول الرسول: "*يا أولادي الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم*" (غلا٤: ١٩). وهكذا إذ نُختم فمن الطبيعي أن نـــصير "*شـــركاء*

الطبيعة الإلهية" كما يقول بطرس (٢بط١: ٤). وهكذا فكل الخليقة تشترك في الكلمة بالروح.

(٢٤)

وبالإضافة إلى ذلك فإنه يُقال عنا إننا: "*شركاء الله*". لأنه يقول: "*أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم؟ إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله لأن هيكل الله مقدّس الذى أنتم هو*" (١كو٣: ١٦و١٧).

فلو كان الروح القدس مخلوقًا، لما كان لنا اشتراك فى الله بواسطته. فإن كنا قد اتحدنا بمخلوق فإننا نكون غرباء عن الطبيعة الإلهية حيث إننا لم نشترك فيها. أمّا الآن فلكوننا نُدعى شركاء المسيح وشركاء الله، فهذا يوضّح أن المسحة والختم الذى فينا، ليس من طبيعة المخلوقات بل من طبيعة الابن، الذى يوحّدنا بالآب بواسطة الروح الذى فيه. هذا ما علّمنا إياه يوحنا ــ كما قيل سابقًا ــ عندما كتب: "*بهذا* نعرف *أننا نثبت فى الله وهو فينا أنه قد أعطانا من روحه*" (١يو٤: ١٣). ولكن إن كنا بالاشتراك في الروح نصير "شركاء الطبيعة الإلهية" (٢بط ١: ٤)، فإنه يكون من الجنون أن نقول إن الروح من طبيعة المخلوقات وليس من طبيعة الله. وعلى هذا الأساس فإن الذين هم فيه، يتألهون. وإن كان هو يؤله[٣٣] البشر،

[٣٣] "**يؤله**" "Θεωποιεί " أي "يجعل إلهًا".. نلاحظ هنا أن القديس أثناسيوس يشرح عبارة بطرس الرسول تصيروا شركاء الطبيعة الإلهية بأنها تعني التأليه. وهو يقول إن الروح القدس هو الذي=

فلا ينبغي أن يُشَك في أن طبيعته هي طبيعة إلهية.

ولكن بوضوح أكثر ــ كما قلت سابقًا ــ لأجل إبادة هذه الهرطقة يرنم المرنم في المزمور المائة والثالث: "*تنزع روحهم فيموتون ويعودون إلى ترابهم. ترسل روحك فيخلقون وتجدّد وجه الأرض*" (مز١٠٣: ٢٩و٣٠). وكتب بولس إلى تيطس: "*بحميم الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، الذي سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح..*" (تي٣: ٥و٦). **ولكن إن كان الآب بالكلمة في الروح القدس يخلق كل الأشياء ويجدّدها** فأي شبه أو قرابة بين الخالق والمخلوقات. فذلك الذي فيه خُلِقت كل الأشياء، كيف يمكن أن يكون مخلوقًا؟. إن مثل هذا الكلام الرديء يقود إلى التجديف على الابن حتى أن أولئك الذين يقولون إن

=يؤله البشر أي يصيّرهم آلهة باشتراكهم فيه. وعلى هذا الأساس يستنتج أن الروح القدس لا يمكن أن يكون من طبيعة المخلوقات بل بالضرورة له طبيعة الله. وقد استعمل القديس أثناسيوس هذه الكلمة في مواضع كثيرة من كتاباته أهمها:

١ ــ كتاب تجسد الكلمة فصل ٥٤ حيث يقول "لأنه صار إنساناً لكي يؤلهنا".

٢ ــ وفي المقالة الأولى ضد الآريوسيين فقرة ٣٩ "كان إلهاً وفيما بعد صار إنساناً لكي يؤلهنا... وكيف يحدث التأليه بدون اللوغوس... كل الذين دعوا أبناء وآلهة قد نالوا التبني وصاروا متألهين من خلال اللوغوس".

٣ ــ وفي المقالة الثانية ضد الآريوسيين فقرة ٧٠ يقول: "لأنه ما كان للإنسان أن يتأله لو أنه أتحد بمخلوق أو لو أن الابن لم يكن إلهاً حقيقياً .. هكذا لم يكن للإنسان أن يؤله لو لم يكن الكلمة الذي صار جسداً هو ابن طبيعي حقيقي وذاتي من الآب. لهذا إذن صار الاتحاد هكذا، أن يتحد ما هو بشرى بالطبيعة بالذي له طبيعة الألوهية ويصير خلاص الإنسان وتأليهه مؤكداً".

٤ ــ وفي المقالة الأولى ضد الآريوسيين فقرة ٩ يشرح (مز ٨١: ٦) "أنا قلت أنكم آلهة" بأن حصول البشر على هذه النعمة هو من الآب بمشاركتهم للكلمة عن طريق الروح القدس".

ومن الفقرات السابقة يتبيّن كيف أن القديس أثناسيوس ينسب عمل التأليه أحياناً إلى الكلمة وأحياناً أخرى إلى الروح القدس. وفي بعض الأحيان ينسبه إلى الكلمة عن طريق الروح القدس.

الروح مخلوق، يقولون أيضًا إن الكلمة الذى خُلِقت به كل الأشــياء، مخلوق.

ويُقال عن الروح ــ وهو كذلك ــ إنه صورة الابن لأن "*الــذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنـــه*" (رو٨: ٢٩). وإذن، فإن كانوا يعترفون أن الابن ليس مخلوقًا، فلا يكون صـــورته أيضًا مخلوقًا لأنه كما تكون الصورة، هكذا يكون أصـــل الـــصورة. هكذا فمن الطبيعي والمناسب أن يُعتَرف أن الكلمة ليس مخلوقًا لأنـــه صورة الآب. ولذلك فمَنْ يَعدّ **الروح** مع المخلوقات، فإنه بالضرورة سيحصى الابن أيضًا بينها. وبهذا سوف يتكلّم كلامًا رديئًا على الآب أيضًا بكلامه الرديء على صورته.

(٢٥)

إذن فالروح هو مختلف عن المخلوقات، ويتضّح بـــالحرى أنـــه خاص[٣٤] بالابن وليس غريبًا عن الله. أمـــا فيمـــا يخـــص ســـؤالهم الحكيم[٣٥]: إن كان من الله فلماذا لا يدعى هو نفسه أيضًا ابنـــا؟ فلقـــد سبق أن أوضحنا أنه سؤال متهور ومتجاسر، والآن نحن نوضح أنه ليس أقل من ذلك. ورغم أن الكتب المقدسة لا تدعوه ابنًا بـــل روح الله، ولكنها تقول إنه في الله نفسه ومن الله نفسه كما كتب الرســـول. وإن كان الابن، بسبب أنه من الآب، هو خاص بجوهر الآب، فينبغي

---

[٣٤] أي من نفس الجوهر مع الابن. ἴδιον εἶναι τοῦ Υἱοῦ.

[٣٥] يقصد الحكيم في نظرهم.

أن الروح الذي هو من الله، يكون بالجوهر خاصاً بـــالابن. وهكـــذا، فكما أن الرب هو الابن، فالروح يدعى روح البنوة. وأيضاً كمـــا أن الابن هو الحكمة والحق، فالروح كتب عنه أنه روح الحكمة والحق. وأيضاً من جهة، الابن هو قوة الله وهو رب المجـــد، ومـــن جهـــة أخرى، الروح يدعى روح القوة وروح المجد. ويشير الكتاب إلى كل منهما بما يأتي: فبولس كتب إلى الكورنثيين: "*لو عرفوا لما صـــلبوا رب المجد*" (١كو٢: ٨).

وفي موضع آخر يقول: "*إذ لم تأخـــذوا روح العبوديـــة أيـــضًا للخوف بل أخذتم روح التبني*" (رو٨: ١٥). وقال أيـــضًا "*أرســـل الله روح ابنه إلى قلوبكم، صارخًا يا أبا الآب*" (غلا٤: ٦). وكتب بطـــرس "*أن عيرتم باسم المسيح فطوبى لكم لأن روح المجد والقـــوة وروح الله يحل عليكم*" (١بط٤: ١٤)، والـــرب دعـــا الـــروح: "روح الحـــق" و"المعزي" (يو١٤: ١٦و١٧). مبينًا بهذا أن الثالوث كامل بـــه. فالكلمـــة يجعل الخليقة مجيدة بواسطة الروح القدس، وبمنحـــه إياهـــا الحيـــاة الإلهية والتبني فإنه يجذبها إلى الآب. ولهذا فإن الذي يربط الخليقـــة بالكلمة لا يمكن أن يكون واحدًا من المخلوقات. والذي يمنح التبنـــي للخليقة لا يمكن أن يكون غريبًا عن الابن. لأننا بغير ذلك يكون من الضروري أن نطلب روحًا آخر لكي به يمكن أن يرتبط هذا **الـــروح بالكلمة**. وهذا كلام غير معقول. لذلك فـــالروح لـــيس واحـــدًا مـــن المخلوقات، بل هو خاص بألوهية الآب والذي فيـــه يجعـــل الكلمـــة الأشياء المخلوقة تشارك في الطبيعة الإلهية. ولكن ذلك الـــذي فيـــه



تشترك الخليقة في الطبيعة الإلهية لا يمكن أن يكون خارج ألوهية الآب.

(٢٦)

أما أن الروح هو فوق الخليقة، ومختلف في الطبيعة عن الأشياء المخلوقة، وأنه خاص بالألوهية، فهذا يمكن أن نعرفه مما يلي. فالروح القدس غير قابل للتغيّر والتحوّل لأنه يقول "*روح التأديب، يهرب من الغش ويتحول عن الأفكار الغبية*" (حكمة١: ٥) ويقول بطرس "*في الروح عديم الفساد الوديع الهادئ*" (١بط٣: ٤)، وأيضًا في الحكمة: "*روحك العديم الفساد هو في كل شئ*" (حكمة١٢: ١). وأيضًا: "*لا أحد يعرف أمور الله إلا روح الله الذي فيه*" (١كو٢: ١١). لأنه ليس لدى الله "*تغيير ولا ظل دوران*" كما قال يعقوب (يع١: ١٧).

فالروح القدس لكونه في الله، ينبغي أن يكون غير قابل للتغيّر والتحوّل والفساد. لكن طبيعة الأشياء الناشئة والأشياء المخلوقة قابلة للتغيّر، حيث إنها خارج جوهر الله، وأتت إلى الوجود من العدم. لأنه يقول "*كل إنسان كاذب*" (مز١١٥: ١١)، وأيضًا "*الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله*" (رو٣: ٢٣)، "*والملائكة الذين لم يحفظوا رئاستهم بل تركوا مسكنهم الخاص، حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام*" (يهوذا ٦). وفي أيوب "*هوذا ملائكته لا يأتمنهم، وإلى ملائكته ينسب حماقة، والنجوم غير نقية في عينيه*" (أي٤: ١٨؛ ٢٥: ٥).

وكتب بولس "*ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة فبالأولى أمور هذه الحياة*" (١كو٦: ٣). ولقد سمعنا أن إبليس، الذي كان "بين الشاروبيم"، وكان "خاتم الشبه"، سقط "*كالبرق من السماء*" (حز٢٨: ١٢؛ لو١٠: ١٨). ولكن إن كانت المخلوقات لها مثل هذه الطبيعة المتغيّرة، وقد كُتِب مثل هذا عن الملائكة، والروح هو هو نفسه وهو غير متغيّر، فإن كان الروح له نفس عدم تحول الابن، ويظل دائماً معه غير متغيّر فأي شبه بين غير المتغيّر والمتغيّر؟ وهكذا يتضّح أنه ليس مخلوقًا وليس هو من جوهر الملائكة على الإطلاق لأنهم متغيّرون، أما هو فهو **صورة الكلمة** ويخص الآب.

وأيضًا، فإن روح الرب يملأ المسكونة، ولذلك يرتل داود "*أين أذهب من روحك*" (مز١٣٨: ٧). وأيضًا مكتوب في سفر الحكمة: "*روحك غير الفاسد هو في كل الأشياء*" (حك١٢: ١). ولكن الأشياء المخلوقة هي في أماكن محددة لها: الشمس، والقمر والنجوم في الجلد، والسحب في الهواء. أما للناس، فقد وضع حدودًا للشعوب، (انظر تث٣٢: ٨) والملائكة يرسلون للخدمات (انظر عب١: ١٤). "*وجاء الملائكة ليمثلوا أمام وجه الرب*"، كما هو مكتوب في أيوب (أي١: ٦). ورأي يعقوب البطريرك حلمًا: "*وإذا سلّم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء، وهوذا ملائكة صاعدة ونازلة عليها*"(تك٢٨: ١٢). ولكن إن كان **الروح** يملأ كل الأشياء وهو في **الكلمة** حاضر في كل الأشياء. وإن كان الملائكة أقل منه، وحيثما يُرسلون فهناك يكونون حاضرين، إذن فلا ينبغي أن يشك في أن الروح ليس بين الأشياء

المخلوقة وليس هو ملاكًا على الإطلاق، كما تقولون أنتم، بل هو فوق طبيعة الملائكة.

(٢٧)

ومما يلي أيضًا يمكن أن ترى كيف أن الروح القدس يُشتَرك فيه ولكن هو لا يشترك[٣٦]، (ولا ينبغي أن نتردد في تكرار نفس الكلام). لأنه مكتوب "*إن الذين استنيروا مرة وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس، وذاقوا كلمة الله الصالحة*" (عب٦:٤و٥)، فالملائكة والمخلوقات الأخرى تشترك في **الروح** نفسه، وإذن فهم يمكن أن يسقطوا من الذي يشتركون فيه. ولكن **الروح** هو دائمًا كما هو، لأنه ليس واحدًا من بين أولئك الذين يشتركون، ولكن كل الأشياء تشترك فيه. فإن كان هو دائمًا كما هو، ودائمًا يشترك فيه، وإن كانت المخلوقات تشترك فيه، **فالروح القدس** لا يمكن أن يكون ملاكًا ولا مخلوقًا على الإطلاق، بل هو خاص **بالكلمة**، الذي به يُعطَي، من أجل أن تشترك المخلوقات في الروح. فأفكارهم هذه ستؤدى بهم أن يقولوا إن الابن مخلوق، وهو الذي فيه نصير كلنا شركاء في الروح.

وأيضًا، فإن الروح القدس واحد، أما المخلوقات فكثيرة، فالملائكة "*ألوف ألوف وربوات ربوات*" (دا ٧: ١٠). وتوجد أنوار كثيرة (انظر تك١: ١٤)، وعروش وسيادات وسموات وشاروبيم وسيرافيم ورؤساء

[٣٦] يقصد القديس أثناسيوس أن الروح القدس لا يمكن أن يفقد قداسته لأنه لا ينالها عن طريق الاشتراك ولكنه يملكها جوهرياً في ذاته.

ملائكة كثيرة. وباختصار فالمخلوقات ليست واحداً، ولكنها كلها معًا هي كثيرة ومتنوعة. فإن كان الروح القدس واحدًا والمخلوقات كثيرة، والملائكة كثيرون، فأي شبه بين **الـــروح** وبـــين المخلوقـــات؟ وإذن يتضح أن **الروح** ليس واحدًا بين كثيرين وليس هو ملاكًا. ولكن لأنه واحد، وبالأكثر لأنه خاص **بالكلمة** الذي هو واحد وخاص بالله الذي هو واحد، فهو من نفس الجوهر.

هذه الأقوال عن **الروح القدس** ــ هي وحدها في ذاتها ــ توضح أنه لا يوجد شئ مشترك أو خاص بينه وبين المخلوقات في الطبيعة وفي الجوهر، وأنه مختلف عن الأشياء المخلوقـــة، وهـــو خـــاص بلاهوت الابن وجوهره وليس غريباً عنه، ومن أجل هذا فهـــو مـــن الثالوث القدوس، وهذا يكشف قلة فهمهم.

(٢٨)

ولكن بالإضافة إلى ذلك، دعونا ننظر إلى تقليد الكنيسة الجامعـــة وتعليمها، وإيمانها[٣٧]، الذي هو من البداية " **والذي أعطاه الرب وكرز به الرسل وحفظه الآباء**"، وعلى هذا الأساس تأسست الكنيسة، ومن يسقط منه فلن يكون مسيحيًا ولا ينبغي أن يدعى كذلك فيما بعد.

وإذن يوجد ثالوث قدوس وكامل، يُعترف به أنه الله ــ فـــي الآب

[٣٧] يُلاحظ هنا أن القديس أثناسيوس لا يفرق بين التقليد والتعليم والإيمان، بل هو يتكلّم عن الثلاثـــة كشيء واحد حتى أنه يستعمل لها اسم الموصول المفرد (الذى) وليس الجمع، وهذا يبيّن أهمية تقليد الكنيسة الجامعة على أنه ممتد من المسيح بواسطة الرسل حتى الآباء كما يبدو في العبارة المكملـــة لهذه الجملة " الذي أعطاه الرب وكرز به الرسل وحفظه الآباء".

والابن والروح القدس، وليس له شئ غريب أو خارجي ممتزج بـــه، ولا يتكوّن من خالق ومخلوق، ولكن الكل يبني ويخلق، وهو متماثل فى ذاته وغير منقسم من جهة الطبيعة، وفعله واحد. **فالآب بالكلمـــة في الروح القدس يعمل كل الأشياء**، وهكذا تُحفــظ وحــدة الثــالوث القدوس سالمة. وهكذا يُكرز بإله واحد في الكنيسة، " *الذي على الكل وبالكل وفي الكل*" (أف٤: ٦). "على الكل" أى كأب وكبدءٍ وكينبـــوع، "وبالكل" أي بالكلمة، "وفي الكل" أي في الروح القدس. هــو ثــالوث ليس فقط بالاسم وصيغة الكلام، بل بالحق والوجود الفعلي. لأنه كما أن الآب هو الكائن الذي يكون، هكذا أيضًا الكلمة هو الكائن والإلـــه على الكل. والروح القدس ليس بدون وجود حقيقي، بل هو موجــود وله كيان فعلي. وليس بأقل من هؤلاء الثلاثة تعتقد الكنيسة الجامعة، لئلا تنزلق إلى أفكار اليهود المعاصرين الرديئة ــ الذين حسب قيافا ــ وإلى أفكار سابيليوس، كما أنها لا تعتقد بأكثر من ثلاثـــة، لـــئلا تتدحرج إلى تعدد الآلهة عند اليونانيين. ولكي يعرف هؤلاء أن هـــذا هو إيمان الكنيسة، فدعهم يفهمون كيف أن الرب حينما أرسل الرسل، أوصاهم أن يضعوا هذا الأساس للكنيسة قائلاً: " *اذهبوا وتلمذوا* **جميع** *الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والــروح القــدس*" (مــت٢٨: ١٩). فمضوا الرسل وهكذا عملوا. وهذه هي الكرازة إلى كل الكنيسة التي تحت السماء.

(٢٩)

وإذن فحيث إن الكنيسة لها أساس الإيمان هذا، فليقل لنا أولئك الناس مرة أخرى وليعطوا جوابًا: هل الله ثالوث أم اثنان؟ فإذا كان اثنين فعليكم أن تحسبوا الروح بين المخلوقات، وبهذا يكون إيمانكم ليس إيماناً بإله واحد، "*الذي على الكل، وبالكل، وفي الكل*" (أف٤: ٦). فإن فصلتم وأبعدتم الروح القدس عن الألوهة، فلا يكون لكم ذلك الذى هو "فى الكل"؛ وإذا كنتم تفكرون هكذا فإن التكميل[٣٨]، الذي تمارسونه ليس انضمامًا إلى الألوهية بالمرة. لأنكم تمزجون مخلوقًا مع الألوهية، ومثل الآريوسيين واليونانيين[٣٩] تضعون الخليقة مع الله

[٣٨] "**التكميل**" هو طقس المعمودية الذي يتم به الانضمام إلى الكنيسة. وأثناسيوس هنا ينسب إلى التروبيكيين ما سبق أن نسبه إلى الآريوسيين عن عدم فاعلية المعمودية عندهم بسبب عدم إيمانهم بألوهية الابن إذ يقول في المقالة الثانية ضد الآريوسيين: "أما هؤلاء الآريوسيون فإنهم يخاطرون بفقدان إتمام السر وأعني به المعمودية لأنه أن كان إتمام السر يعطي باسم الآب والابن وهم لا يقرون بأب حقيقي بسبب إنكارهم للذي هو منه الذي هو مثله في الجوهر منكرين الابن الحقيقي ويسمون لأنفسهم ابنًا آخر... إلا يكون طقس المعمودية الذي يتمونه فارغًا تمامًا وعديم الجدوى إذ أن له مظهر خارجي، أما في الحقيقة فإنه ليس له شئ يعين على التقوى.. لأن الآريوسيين لا يعمدون باسم الآب والابن بل باسم خالق ومخلوق... فليس من يقول ببساطة "يارب" هو الذي يعطي المعمودية، بل هو ذلك الذي مع الاسم الذي يدعوه عنده أيضاً إيمان مستقيم.. ومع الإيمان يأتي إتمام المعمودية" (المقالة الثانية ضد الآريوسيين: ٤٢، ترجمة الأستاذ صموئيل كامل عبد السيد، الدكتور نصحي عبد الشهيد ــ نشر مركز دراسات الآباء القاهرة ١٩٨٧).

[٣٩] نلاحظ أنه بينما دعا القديس أثناسيوس الآريوسيين في الفصل السابق يهودًا، فهو هنا يربطهم باليونانيين أي الوثنيين. فإن كانت الآريوسية تدعو إلى التوحيد فهي عمليًا تنزل إلى الوثنية فعلى الرغم من أنها ادعت بأنها تحفظ وحدانية الله باستبعاد الابن من اللاهوت، فهي من جهة أخرى قد ربطت بينه وبين الله في النعمة والمجد أي عبدته كمخلوق أو عبدت المخلوق. وفي هذا الفصل=

الذي خلقها بكلمته الذاتي. فإن كان هذا هو اتجاهكم فأي رجاء يكون لكم؟ فمن هو الذي يوحّدكم بالله، إن لم يكن لكم روح الله بل الـــروح الذي من الخليقة؟ إنها جسارة وعدم مبالاة أن تنقصوا الآب **وكلمتـــه** إلى مستوى المخلوقات، وأن تضعوا المخلوقات في مستوى الله، لأن هذا هو ما تفعلونه حينما تتخيلون الروح القدس مخلوقًا وتحسبونه مع الثالوث، فأي جنون من جهـــتكم أن تنـــسبوا الظلـــم إلـــى الله، إذ لا تحسبون مع الله **وكلمته** سوى واحد من بـــين كـــل الملائكـــة وكـــل المخلوقات، لأنه إن كان الروح ــ كما تقولون ــ هو ملاك مخلوق، وفي نفس الوقت يحسب مع الثالوث، إذن يكون ضروريًا، ليس لواحد فقط بل لكل الملائكة الذين خلقوا، أن يحسبوا مع الألوهة، وبـــذلك لا يعود هناك فيما بعد ثالوث بل عدد لا يحصى في الألوهة. وهكذا فإن طقس الانضمام[٤٠] ــ الذي نكرّر ــ أنه يظهر أنه طقسكم، هو منقسم بين هنا وهناك وصار غير أكيد بسبب تقلبه. هكذا تكـــون طقوســـكم وطقوس الآريوسيين الذين يجادلون ضد الألوهة ويعبدون المخلوقات دون الله الذي خلق كل الأشياء.

(٣٠)

مثل هذه الضلالات تقابل من يقول إن الله اثنان. ولكن إن كان هو

=يطبق أثناسيوس نفس الأسلوب بخصوص الروح القدس على أساس أنه مع استدعاء الروح القدس في المعمودية مع الآب والابن، ينكرون ألوهيته ويعتبرونه مخلوقًا.

[٤٠] أي طقس المعمودية الذي به يتم الانضمام إلى الكنيسة.

ثالوث، كما هو حقًا، وإن كان قد تبيّن أن الثـــالوث غيـــر منقـــسم، ومتماثل، وإذن فبالضرورة تكون قداسته واحـــدة، وأبديتـــه واحـــدة، وكذلك طبيعته غير القابلة للتغيّر. لأن الإيمان بالثالوث[٤١] المُسلّم إلينا ــ هو واحد وهو الذى يجعلنا متحدين بالله، لذلك فمَـــنْ يـــستبعد أي واحد من الثالوث، ويعتمد باسم الآب وحده أو باسم الابن وحـــده، أو باسم الآب والابن بدون الروح القدس، لا ينال شيئًا، بل يظل فـــارغ وغير مكتمل[٤٢]، هو نفسه وذلك الذى يظن أنه ضـــمه، (لأن طقـــس الاكتمال[٤٣] هو بالثالوث)، هكذا فإن الذى يفصل الابن عـــن الآب أو يُنزِل الروح القدس إلى مستوى المخلوقات، فهذا لن يكون لـــه الآب ولا الابن بل هو بدون إله، وهو أشر من غير المؤمن. ويمكـــن أن يكون أي شئ إلا أن يكون مسيحيًا، وهذا أمر عادل. لأنـــه كمـــا أن المعمودية التي تُعطَى بالآب والابن والروح، هي واحدة، وكمـــا أن هناك إيمان واحد بالثالوث، هكذا الثالوث القدوس إذ هو واحـــد مـــع

[٤١] " **الإيمان بالثالوث**": يؤكد القديس أثناسيوس على أن هذا هو الإيمان الذي يجعلنا متحدين بـــالله. والمعمودية تتبع هذا الإيمان. ونفس الأمر يؤكده كيـــرلس الأورشـــليمي (Cat. V. 6)، وأيـــضًا القديس باسيليوس في كتابه عن الروح القدس يقول: "المعمودية والإيمـــان طريقـــان للخـــلاص لا ينفصلان، فالإيمان يكتمل خلال المعمودية، والمعمودية تتأسس خلال الإيمان، وكلاهما يتم بـــنفس الأسماء... فأولاً يأتي الإقرار بالإيمان الذي يدخلنا إلى الخلاص، وبعد الإقرار تتم المعمودية التـــي تختم على موافقتنا" De Sp. S. 28. وينبغي أن نلاحظ أن أثناسيوس في تعليمه عـــن المعموديـــة يشدد على الاندماج في الحياة الإلهية الذي تمنحه لنا المعمودية بما لا يقل عن تشديده على غفـــران الخطايا.

[٤٢] أي لا يكون قد انضم فعلاً إلى الكنيسة بالمعمودية.

[٤٣] أي طقس الانضمام إلى الكنيسة بالمعمودية.



نفسه، ومتحد في نفسه، وليس له في نفسه ما هو مـــن المخلوقـــات. وهذه هى وحدة الثالوث غير المنقسمة، ولذلك فالإيمان به هو واحد. ولكن إن كان الأمر بحسب الابتداع الجديد الــذي صــنعتموه أيهــا "المحرّفون" ليس هو كذلك، وإن كنتم قد رأيتم أحلامًــا بــأن تــدعو الروح القدس مخلوقاً، فإذن لا يعود لكم بعد إيمان واحد ومعموديــة واحدة[٤٤] بل اثنان، واحدة (باسم) الآب والابن وأخرى (باسم) مــلاك هو مخلوق، ولا يبقى لكم يقين ولا حق. لأنه أية شركة بين المخلوق والخالق؟ وأية وحدة بين المخلوقات السفلى وبين "الكلمة" الذي خلقها؟ والمبارك بولس، إذ عرف هذا، لا يُقسِّم الثالوث كما تفعلون، بــل إذ يعرف وحدته فقد كتب إلى الكورنثيين عن الأمور الروحية. فهو يَرُد كل الأشياء إلى إله واحد، الآب[٤٥] قائلاً: "*أنواع مواهــب موجــودة*

---

[٤٤] " **إيمان واحد ومعمودية واحدة**": (انظر ضد الآريوسيين١٦:٣ C. Ar. III.16). يوجــد عنــد القديس أثناسيوس علاقة واضحة ووثيقة بين الإيمان الواحد والمعمودية الواحدة والإله الواحد. فــإن كانت صحة المعمودية تعتمد على صحة الإيمان الذي تعطي على أساسه، فهذا بدوره يعتمد علــى التماسك الداخلي للحياة الإلهية التي يوضحها. وحدة الإيمان ليست فقط مجرد وحدة صيغة الاعتراف بالإيمان، بل تقتضي أيضاً وحدة ذلك الذي يتم الاعتراف به. انظر كيــرلس الأورشــليمي (Cat. XVI. 4). إذ يقول "نحن لا نكرز بثلاثة آلهة... بل بالابن الواحد مع الروح القدس نكــرز بإلــه واحد. فالإيمان غير منقسم والعبادة غير مجزأة".

[٤٥] " **فهو يرد كل الأشياء إلى إله واحد**، الآب": يقصد القديس أثناســيوس أن المواهــب الروحيــة المتنوعة وأنواع الخدم يمكن أن تجمع كلها معًا باعتبار أن مصدرها واحد هو "عمل الآب". وواضح هنا أن القديس أثناسيوس يؤكد أن المقصود بعبارة إله واحد، هو الآب. فالفعل الإلهي وكذلك الحياة الإلهية ينبعان منه. وهذا هو أيضًا ما قصده القديس أثناسيوس من اقتباسه لعبارة الرســول بــولس عندما قال: "ولكن الله واحد الذي يعمل الكل في الكل" (١كو ١٢: ٦). وهذا هو اتجــاه اللاهــوت=

وأنواع أعمال موجودة ولكن الله واحد الذي يعمل الكل فـــي الكـــل" (١كو١٢: ٤ــ٦).

فالمواهب التي يقسِّمها الروح لكل واحد تُمنح من الآب "بالكلمة". لأن كل ما هو من الآب هو من الابن أيضاً. وإذن فتلك الأشياء التي تُعطي من الابن في الروح هي مواهب الآب. وحينما يكون **الـــروح** فينا، **فالكلمة** الذي يعطى **الروح** يكون أيضًا فينا، **والآب** موجود فـــي **الكلمة**. وهكذا يكون كما قال: *"سنأتي أنا والآب ونصنع عنده منزلاً"* (يو١٤: ٢٣). لأنه حيث يكون النور فهناك الشعاع أيضًا. وحيث يكون الشعاع فهناك أيضًا فاعليته ونعمته المضيئة.

وهذا هو ما علّم به الرسول أيضًا حينما كتب إلى الكورنثيين في الرسالة الثانية قائلاً: *"نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشـــركة الروح القدس مع جميعكم"* (٢كو١٣:١٣). لأن هذه النعمة والهبة تعطي في الثالوث من الآب والابن في الروح القـــدس، وكمـــا أن النعمـــة المعطاة هي من الآب والابن، هكذا فإنه لا يكون لنا شركة في العطية إلا في الروح القدس. لأننا حينما نشترك فيه تكون لنـــا محبـــة الآب ونعمة وشركة الروح نفسه.

(٣١)

ويتضح مما سبق أن فعل الثالوث هو واحد. فالرسول لا يعني أن

=الشرقي عموماً الذي يرد وحدانية الثالوث إلى أقنوم الآب الذي هو الأصل وينبوع الابن والـــروح القدس.

ما يعطي، يعطي من كل واحد متنوعًا ومجزئًا[٤٦]، ولكن ما يعطى إنما يعطي في الثالوث، والكل من إله واحد. وعلى ذلك فالذي هو غير مخلوق، بل هو متحد مع الابن، كما أن الابن متحد مع الآب، والذي هو ممجد مع الآب والابن، الذي يعترف به إلهاً مع الكلمة، والذي هو يفعل الأعمال التي يعملها الآب مع الكلمة، كيف يمكن أن يُدعى مخلوقًا[٤٧]؟ وهكذا أفلا يكون ذلك الإنسان الذى يدعوه مخلوقًا مجرمًا بفكر مباشر ضد الابن نفسه؟ لأنه لا يوجد شئ لم يخلق ولم يعمل بالكلمة في الروح. وهكذا يرتل في المزامير: "*بكلمة الرب صنعت السموات وبروح فيه كل جنودها*"(مز٣٢: ٦). وفي المزمور المئة والسابع والأربعين: "*يرسل كلمته فيذيبها، يهب بروحه فتسيل المياه*" (مز١٤٧: ١٨). ونحن "*قد تبررنا باسم ربنا يسوع المسيح وبروح إلهنا*" كما يقول الرسول (١كو٦: ١١). لأن الروح غير منفصل عن الكلمة، وبالتأكيد حينما يقول الرب "*سنأتي أنا والآب*" (يو١٤: ٢٣)، يأتي الروح معهما ويسكن فينا، ليس لسبب آخر غير أن يحلّ الابن فينا، كما كتب بولس إلى الأفسسيين "*لكي يعطيكم بحسب غنى مجده، أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن ليحل المسيح*"

[٤٦] "**متنوعًا ومتجزئًا**": مواهب البركة الرسولية لا ينبغي أن تعتبر مواهب منفصلة مخصصة بالتجزئة لكل واحد من الأقانيم بمفرده. أي أن الرسول لا يقصر النعمة على المسيح أو المحبة على الآب أو الشركة على الروح القدس بحسب الصيغة الواردة في (٢كو ١٣: ١٣) والتي يعلق عليها القديس أثناسيوس هنا، فإنه يحدث أحياناً أن تنسب المحبة إلى الروح القدس (غلا ٥: ٢٥). والشركة للابن (١كو ١٠: ١٦)، والنعمة لله الآب (١كو١٥: ١٠).

[٤٧] أي يدعو الروح القدس مخلوقًا.

(أف٣: ١٦ــ١٧). ولكن إن كان الابن فينا يكون الآب فينا أيضاً كما يقول الابن "*أنا في الآب والآب فيَّ*" (يو١٤: ١٠).

لذلك حينما يكون الكلمة في الأنبياء فإنهم يتنبئون بالروح القدس[٤٨]. وحينما يقول الكتاب "*صارت كلمة الرب*"(إر١: ٢؛ ميخا١: ١)، إلى ذلك النبي بالذات، فهذا يوضح أنه يتنبأ بالروح القدس. ومكتوب في زكريا "*لكن اقبلوا كلامي وفرائضي التي أوصيت بها عبيدي الأنبياء بروحي*" (زك١: ٦). وحينما وبخ النبي الشعب بعد ذلك بقليل "*جعلوا قلبهم عنيداً لئلا يسمعوا شريعتي والكلام الذي أرسله رب الجنود بروحه عن يد الأنبياء الأولين*" (زك٧: ١٢)، وقال بطرس في سفر الأعمال "*أيها الأخوة كان ينبغي أن يتم الكتاب الذي سبق الروح القدس فقاله*" (أع١: ١٦). والرسل صرخوا بصوت عالٍ معًا قائلين: "*أيها السيد، أنت هو الإله الصانع السموات والأرض والبحر وكل ما فيها، القائل بالروح القدس بفم داود فتاك...*" (أع٤: ٢٤ــ٢٥). وبولس حينما كان في رومية تكلّم بجرأة إلى اليهود الذين أتوا إليه: "*حسنًا كلم الروح القدس آبائكم النبي*" (أع٢٨: ٢٥). وكتب إلى تيموثاوس: "*الروح يقول صريحًا أنه في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان تابعين أرواحاً مضلة*" (١تي٤: ١). ولذلك حينما يُقال إن

[٤٨] "**يتنبئون بالروح** القدس": هذا التعليم للقديس أثناسيوس يأخذه منه الآباء الذين أتوا بعده. انظر ديديموس عن الروح القدس Sp. S. 29، وعن الثالوث II 500، باسيليوس عن الروح القدس Sp. S. 37 وأمبروسيوس عن الروح القدس Sp. S. II. 130 (انظر الروح القدس الكتاب الثاني ص ١٣٠- ١٣٢ نشر بيت التكريس لخدمة الكرازة، وكيرلس الأسكندرى De. Trin VII 1096).

الروح موجود في أي أحد فهذا يعني أن الكلمة كائن فيه وهو الـــذي يمنح الروح. وحينما تحققت النبوة القائلة: " *أني أسكب روحي علـــى كل بشر*" (يؤ٢: ٢٨) بعد ذلك قال بولس: " *حسب موآزرة روح يسوع المسيح لي*" (فـــي١: ١٩). وكتب إلى الكورنثيين: " *إن كنـــتم تطلبـــون برهان المسيح المتكلم فيَّ*" (٢كو١٣: ٣). ولكن إن كان الذي تكلّم فيـــه هو المسيح، فهذا يوضّح أن الروح الذي تكلّم فيه هو روح المـــسيح. وبسبب أن روح المسيح كان يتكلّم فيه، قال أيضًا في سفر الأعمال: " *والآن ها أنا ذاهب إلى أورشليم مقيداً بالروح لا أعلم ما يـــصادفني هناك، غير أن الروح يشهد في كل مدينة قـــائلاً، أن وثقـــاً وشـــدائد تنتظرنـــي*" (أع٢٠: ٢٢و٢٣). وعليه فحينما يقول القديسون: " *هكذا قـــال الرب*" (انظر عا١: ٣)، فإنهم لا يتكلّمون إلاّ بالروح القدس. وإذ يتكلّمون بالروح القدس فهم يتكلمون بهذا في المسيح. وإذ يقول أغابوس فـــي الأعمال " *هذا يقوله الروح القدس*" (أع٢١: ١١)، فلـــيس إلا بواســـطة الكلمة الآتي إليه، يمنح الروح أيضًا القوة ليتكلّم ويشهد عن الأمـــور التي تنتظر بولس في أورشليم. وهكذا أيضًا حينما شهد الروح لبولس ــ فكما قلنا قبلاً ــ إن المسيح عينه كان هو المـــتكلّم فيـــه، لتكـــون الشهادة التي أتت من الروح هي تخص الكلمة. وهكذا أيضًا حينمـــا افتقد الكلمة، العذراء القديسة مريم، أتي الروح القدس إليهـــا معـــه، والكلمة بالروح شكل الجسد وهيأه لنفسه، راغبًا أن يوحّد ويقدّم كـــل الخليقة للآب بواسطة نفسه، "*ويصالح كل الأشـــياء فيـــه... صـــانعًا سلامًا... سواء ما هو في السموات أو ما هو على الأرض*"(كو١: ٢٠).

(٣٢)

وعلى ذلك ــ فوفقًا للكتب الإلهية ــ يتبين أن الروح القدس ليس مخلوقًا بل هو خاص بالكلمة وبلاهوت الآب، وهكذا يتفق مع تعليم القديسين[٤٩] عن الثالوث القدوس غير المنقسم، وهو الإيمان الواحد الذي للكنيسة الجامعة. ولكن ابتداع "المحرّفين" غير المعقول والخرافي يتناقض من ناحية مع الكتب المقدسة ومن ناحية أخرى يتفق مع عدم عقلانية الآريوسيين المجانين. إنه من الطبيعي بالنسبة لهم أن يتظاهروا هكذا ليخدعوا البسطاء، ولكن شكرًا للرب فكما تكتب أنت لم ينجحوا في تغطية أنفسهم باصطناع الخلاف مع الآريوسيين. لقد صاروا مكروهين من أولئك لأنهم يدعون أن الروح فقط مخلوق دون أن يدعوا الابن كذلك. وقد أدانهم جميع الناس لأنهم في الحقيقة يحاربون الروح[٥٠]، وبعد قليل سوف يموتون إذ هم مقفرون وخالون من الروح، وبكلمات الرسول المبارك إذ هم "*أناس نفسانيون*"، فإنهم لا يستطيعون أن يقبلوا ما يخص روح الله لأن هذه الأمور إنما يحكم فيها روحياً. أما أولئك الذين يهتمون بالأمور التي تخص الحق، فيحكمون في كل شئ، ولكن هم أنفسهم لا يحكم فيهم

[٤٩] "**تعليم القديسين**": أي تعليم الكتب المقدسة. إن كلمة agioi "القديسين" عند القديس أثناسيوس تشير عادة إلى شخصيات الكتاب المقدس أو كتبته سواء بالنسبة إلى العهد الجديد أو العهد القديم. ونجد نفس المعنى في تجسد الكلمة ٥٧ وفي De Fug. 15.

[٥٠] "**يحاربون الروح**" يبدو أن القديس أثناسيوس هو الذي نحت عبارة "محاربي الروح" على مثال "محاربي الكلمة" والتي بدورها ربما تكون على مثال "محاربي الله" التي وردت في سفر الأعمال (٥: ٣٩؛ ٢٣: ٩).

من أحد، لأنهم يملكون الرب في أنفسهم الذي يكشف لهم ذاته في الروح، وبواسطة ذاته يكشف الآب.

٣٣ ــ ورغم أني أسكن الآن في البرية، ولكن بسبب وقاحة الذين تحولوا عن الحق، فإني لم أبال بأولئك الذين يرغبون أن يضحكوا على ضعف شرحي وفقره. ولكن إذ قد كتبت باختصار فأني أرسله إلى تقواك مع توسلات كثيرة أنك حينما تقرأه، فإنك من ناحية تصححه ومن ناحية أخرى، حينما تجد أن الكتابة ضعيفة فإنك تلتمس العذر. وبحسب الإيمان الرسولي المسلّم لنا بالتقليد من الآباء، فإني قد سلّمت التقليد بدون ابتداع أي شئ خارجًا عنه. فما تعلمته فذلك قد سطرته مطابقًا للكتب المقدسة، لأنه يتطابق أيضًا مع تلك المقاطع من الكتب المقدسة التي اقتبسناها أعلاه، لأجل التأكيد.

وهذا ليس ابتداعًا خارجيًا، ولكن الرب يسوع المسيح نفسه، هو بشخصه علّم المرأة السامرية وعلّمنا من خلالها كمال الثالوث القدوس الذي هو ألوهية واحدة غير منقسمة، فالحق نفسه هو الذي يشهد حينما يقول للسامرية: "*يا امرأة، صدقيني أنه تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح وبالحق، لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له. الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا*" (يو٤: ٢١ــ٢٤). ومن هذه الفقرة يتضح أن الحق هو الابن نفسه، كما يقول: "*أنا هو الحق*" (يو١٤: ٦)، والذي بخصوصه صلى داود النبي قائلاً: "*ارسل نورك وحقك*"

(مز٤٣: ٣). لذلك فالساجدون الحقيقيون يسجدون للآب ولكن بالروح والحق، معترفين بالابن وبالروح فيه. لأن الروح غير منفصل عن الابن، كما أن الابن غير منفصل عن الآب. فالحق نفسه يشهد حينما يقول: "*سأرسل لكم المعزي روح الحق الذي من عند الآب ينبثق، الذي لا يستطيع العالم أن يقبله*" (يو١٥: ٢٦؛ ١٤: ١٧)، أي أولئك الذين ينكرون أنه من الآب في الابن.

لذلك فينبغي على مثال الساجدين الحقيقيين أن نعترف بالحق وننحاز إليه. وإن كانوا بعد هذه الأمور لا يزالون غير راغبين أن يتعلّموا، وليس لديهم قوة أن يفهموا، فدعهم على الأقل أن يكفوا عن الكلام الشرير. دعهم لا يقسِّمون الثالوث لئلا يُفصلوا عن الحياة. دعهم لا يحسبوا الروح القدس بين المخلوقات، لئلا مثل الفريسيين القدماء، ينسبون أعمال الروح إلى بعلزبول، فأنهم بسبب جسارة مشابهة، يجلبون (على أنفسهم) مع هؤلاء الناس العقاب الذي هو بلا رجاء في الغفران هنا، وما بعد ذلك.



الرســالة الثانية

(ضد من يقولون إن الابن مخلوق)

(١)

كنت أظن أن ما كتبته، قليل، واتهمت نفسي بالضعف الكثير، لأنني لم أستطع أن أكتب كل ما يمكن أن يقوله البشر ضد هؤلاء الذين يجدفون على الروح القدس. ولكن حيث أن بعض الأخوة ــ كما كتبت أنت ــ قد طلبوا أن نختصر الكتابة حتى يمكن لهم أن يردوا على الذين يسألون عن الإيمان الذي فينا، بوسيلة جاهزة ومختصرة، وأن يدحضوا أولئك الذين يجدّفون، ولقد فعلت هذا وأنا واثق إذ أن لك ضمير صالح، أنه إذا كان فيها ثمة نقص، فأنك سوف تكمله.

إن الآريوسيين[٥١] إذ انغلقوا على أنفسهم، معتقدين مثل الصدوقيين

---

[٥١] " **الآريوسيون**": إن الرسالة الثانية بأكملها مخصصة لإعادة عرض التعليم الصحيح ضد الآريوسية. فالقديس أثناسيوس يوضح في رسالة ٣: ١ أن التعليم الصحيح عن الروح القدس لا يمكن أن ينبع إلا من تعليم صحيح عن الابن. والفصول التالية في هذه الرسالة الثانية لها نقط اتصال وثيقة مع كتابات أثناسيوس الأخرى ضد الآريوسية وخاصة كتاب De Dec وكتاب de. Syn والمقالات الثلاث ضد الآريوسيين (C. Ar. I- III.) وبالإضافة إلى ذلك فإن الحجج هنا متصلة بتلك التي في الرسالة الأولى. وهكذا فهو يوضح في (فصلي ٣- ٤) أن الابن لا يمكن أن يكون مخلوقاً لأن له كل ما يخص الآب، وبنفس الطريقة يتكلم في الرسالة الأولى (٢٢- ٢٧) عن علاقة الروح القدس بالابن فيقول: "وإن كان الابن بسبب أنه من الآب هو خاص بجوهر الآب، فينبغي أن الروح الذي هو من الله يكون بالجوهر خاصاً بالابن" (١: ٢٥).

وأنه لأمر مثير للاهتمام أن تعبير (ὁμοούσιοσ هوموأوسيوس من نفس الجوهر) يبرز بوضوح في هذه الرسالة وكذلك التفسير الذي يعطيه له والذي له نقط اتصال وثيقة بشرحه له في كتاب: De. Syn. 41- 53.=

أنه ليس هناك، خارجاً عنهم، ما هو أسمى، فإنهم واجهوا الكتب الموحي بها بمجادلات بشرية. فحينما يسمعون أن الابن هو حكمة الآب، وشعاعه، وكلمته[٥٢]، فإنهم اعتادوا أن يسألوا كيف يمكن أن يكون هذا؟ كما لو أنه لا يمكن أن يكون ثمة شئ إلا ويفهموه. وقياسًا لى ذلك، فإنه ينبغي عليهم أن يفكروا على هذا النحو في مثل هذه الأمور: فكيف يمكن للخليقة التي لم تكن موجودة أن تأتي إلى الوجود؟ أو كيف يمكن لتراب الأرض أن يتشكل إنسانًا عاقلاً؟ أو كيف يمكن للفاسد أن يصير عديم الفساد؟ أو كيف "*تأسست الأرض على البحار*"، "*وكيف ثبّتها الله على الأنهار*" (مز٢٤: ٢)، ثم أخيرًا ينبغي أن يضيفوا إلى أنفسهم "*فلنأكل ونشرب لأننا غدًا نموت*"

=وأخيرًا فهذه الرسالة متأثرة في صياغتها بالذين وجهت إليهم وهم رعاة كنيسة الإسكندرية إجمالاً، وأيضًا بتطور سمات الآريوسية المعاصرة لزمن كتابة الرسالة.

ثم أن الرسالة توضح أيضًا وحدة الجوهر الإلهي بين الآب والابن، على أن التأكيد يوضح أساسًا "وجود أقنومين متساويين". وهكذا فإن تعليم القديس أثناسيوس هذا يسبق تعليم الآباء الكبادوكيين عن الثالوث، ويساعد على تفسيره.

[٥٢] "**الحكمة والشعاع والكلمة**" هذه هي التسميات الأساسية التي على ضوئها نعرف ماذا يعني حقيقة الاسمان: "الآب" و "الابن" حينما يطلقان على الله. فالآريوسيون لكي يساووا بين "المولود" (Gennyma) و"المخلوق" (Ktisma)، كان لابد أن ينكروا أن الابن هو الكلمة أو الحكمة بمعناهما الأصيل، بل ينسبونهما فقط إلى الله من الخارج دون أن يكون لهما صلة حقيقية بالابن على الإطلاق. أي أن الابن ليس هو كلمة الله وحكمته على الحقيقة، إذ يقول آريوس فيما يذكر أثناسيوس (أن هناك حكمتان : الأولى لها قوامها الذاتي وموجودة مع الله، أما الابن فقد جاء من خلال هذه الحكمة الأولى، وقد سمى الحكمة والكلمة بسبب اشتراكه فقط في هذه الحكمة الأولى لأنه يقول: إن "الحكمة" جاء إلى الوجود بواسطة الحكمة بمشيئة الله الحكيم. ويقول أيضًا: إنه توجد كلمة أخرى في الله غير الابن.. وأيضًا إن الابن قد سُمِّى كلمة وابنًا بسبب مشاركته للكلمة حسب النعمة) (المقالة الأولى فقرة ٥ ,De Syn.15).



(١كـو١٥: ٣٢)، لكي يصير واضحًا أنه عندما يهلكون، فسيهلك أيـضًا معهم جنون هرطقتهم.

(٢)

إن مثل هذا الفكر للآريوسيين هو في الحقيقة إلى فنـاء وزوال. ولكن كلمة الحق التي كان ينبغي على هؤلاء أن يدركوها هي كمـا يلي: إذا كان الله ينبوعًا ونورًا وأبًا، فليس من الجـائز القـول بـأن الينبوع جاف[٥٣] أو أن النور بلا شعاع أو أن الله بلا "كلمة"، لئلا يكون الله غير حكيم، وغير عاقل، وبلا شعاع. وإذن فحيث إن الآب أزلي، فبالضرورة يكون الابن أيضًا أزليًا، لأن كل ما هو للآب فهو بلا شك للابن أيضًا. لأن الرب نفسه يقول، كل ما للآب فهو لي (يـو١٦:١٦)، وكل "*ما هو لي هو للآب*"(يو١٧: ١٠). فالآب أزلي، والابن هو أيضًا أزلي لأن به صارت العالمين. والآب هو كائن، فبالضرورة الابـن أيضًا هو "*الكائن على الكل إلهًا مباركًا إلى الأبد أمين*"(رو٩:٥). فليس

---

[٥٣] "**الينبوع جاف**" لاشك أن أثناسيوس يقصد بلفظتي (Asophos) بدون حكمة و(Alogos) "بدون كلمة" المعنى المزدوج، ليس فقط أن الله "بدون حكمة" أو "بدون كلمة"، بل يكون الله في هذه الحالـة "غير حكيم" و "غير عاقل، في كيانه وجوهره. ولذلك فإن أثناسيوس فـي المقالـة الأولـى ضـد الآريوسيين (١: ١٤) يتهم الآريوسيين بأنهم ينسبون لله "عدم العقل" (Alogia).

وعلى هذا الأساس فإن الآريوسيين ينزلون بالابن إلى مستوى ملكة غير شخصية في الحياة الإلهية، كما أنهم ينكرون أن يكون الله شخصًا. ولا تكون وحدانية الله مشخصة. أما في فكر أثناسيوس فهو يلتزم في شرحه لوحدانية الله بما يقول به الوحي في الكتاب المقدس. فإنكار المساواة بـين الابـن والآب في الجوهر يعني في الواقع نفي الشخصية بملئها عن الله. والواقع أنه لا يمكن أن نتحدث عن الله كشخص إذا أنكرنا ألوهية الابن حكمة الله وكلمته. فالله في العقيدة المسيحية هو شـخص حـي محب ومتكلم في يسوع المسيح. وإلغاء ألوهية الابن هو النظر إلى الله كمجرد قوة وليس شخصًا.

من الصواب القول عن الآب: "كان هناك زمن لم يكن فيه موجودًا" . وليس من الصواب القول عن الابن: "كان هناك زمن لم يكن فيه موجودًا"، الآب ضابط الكل، والابن أيضًا ضابط الكل، كما يقول يوحنا: " *هذا ما يقوله الرب الكائن والذي كان والذي يأتي الضابط الكل*" (رؤ١: ٨).

الآب نور والابن شعاع ونور حقيقي الآب إله حقيقي والابن إله حقيقي، فهكذا كتب يوحنا "*فنحن في الحق في ابنه يسوع المسيح، هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية*" (١يو٥: ٢٠). وبوجه عام ليس هناك شئ مما هو للآب لا يكون للابن. ولذلك فالابن هو في الآب (يو١٤: ١٠) والآب هو في الابن، لأن كل ما هو للآب يكون في الابن، وأيضاً كل هذا يدرك في الآب. وعلى هذا النحو يدرك القول: "*أنا والآب واحد*" (يو١٠: ٣٠). لأنه لا توجد أشياء في الآب، وأخرى مغايرة في الابن، بل أن كل ما هو في الآب هو في الابن أيضًا، وحيث إنكم ترون في الابن تلك الأشياء التي ترونها في الآب، فأنكم تدركون حسناً ذلك القول "*من رآني فقد رأى الآب*" (يو١٤: ٩).

(٣)

وعندما نكون قد برّهنا على هذه الأمور هكذا، فالذي يقول إن الابن مخلوق يكون كافرًا، وسوف يكون مضطرًا لأن يدعو الينبوع مخلوقاً، وهو الذى يدفق الحكمة، الكلمة، والذي فيه كل ما يخص الآب. وبتعبير آخر، فمما يلي يمكن للمرء أن يلاحظ مدى ضلال

هرطقة الآريوسيين المجانين: فأولئك الذين نشابههم ولنا هويتهم، لنا معهم نفس الجوهر[٥٤]. فنحن البشر إذن، متشابهون، ولنا نفس الهوية[٤٥]، ولنا أحدنا مع الآخر نفس الجوهر. فنفس الوضع يكون للجميع. الموت، الفساد، التغيّر، والوجود من العدم. وأيضًا الملائكة فيما بينهم، وكذلك الكائنات الأخرى، لها فيما بينها طبيعة واحدة. فدع هؤلاء الفضوليين أن يبحثوا فيما إذا كان هناك من بين المخلوقات من يشبه الابن، أو إذا كان من الممكن أن يجدوا في المخلوقات ما هو في الابن، حتى يمكن أن يتجاسروا ويقولوا إن كلمة

---

[٥٤] "**لنا معهم نفس الجوهر ... ولنا نفس الهوية**": يرفض أثناسيوس أن يعتبر كلمة (Homios - ὅμιος هوميوس) التي تعني شبه، معادلة لكلمة هوموأوسيوس (Homoousios - ὁμοούσιος) التي تعني: من نفس الجوهر حتى لو أضفنا إلى كلمة "هوميوس" كلمات مقوية مثل Aparaliaktos (= مطابق أو مماثل) أو كلمة katousian (= حسب الجوهر). وينبغي أن نلاحظ أن أثناسيوس هنا يشرح كلمة (Taftotis - ταυτοτής) بمعنى نفس الهوية، أي أن أي إنسان هو مثل أي إنسان آخر من حيث إن كليهما بشر. وفي كتابه de. Dec يرفض أثناسيوس أن يرى في علاقة الآب البشري بابنه إيضاحاً كافياً لعبارة هوموأموسيوس (من نفس الجوهر). ويقول: "لأن الأجساد التي يماثل أحدها الآخر يمكن أن تنفصل متباعدة على مسافة أحدها من الآخر". ويمكن أن نرى اعتراضاً مماثلاً بالنسبة للتشبيه بالتضامن بين الجنس البشري المذكور هنا، لأنه على الرغم من أننا نحن البشر لنا نفس الهوية ولنا نفس الوضع في الموت والفساد...، إلا أن هذا التضامن لا يصلح أن يكون توضيحاً كافياً للمساواة في الجوهر (أوموأوسيوس Omoousios). لقد سبق للقديس أثناسيوس أن أكد على وحدة الآب والابن وعدم انفصالهما، وهو هنا يهمه أن يؤكد على أن الآب والابن متساويان جوهرياً ومتماثلان تمامًا، وهو يعرف أن هذا التساوي يتضمن في داخله وحدة الجوهر التي سبق ودافع عنها في الفصل السابق من هذه الرسالة، والتي عبر عنها في كتابه De Dec. 20. وفي ذلك الكتاب يستعمل كلمة هوموأوسيوس لكي يوضح أن "الابن لكي يكون من الآب ينبغي أن يكون في الآب. ولكنه هنا يختار نقطة انطلاق يهاجم بها الأنوميين (اتباع أريوس) الذين أكدوا ليس فقط انفصال الآب عن الابن بل أيضاً عدم تماثل الآب والابن.

الله مخلوق. ولكن هؤلاء المتهورين والضالين عن التقوى، لن يجدوا أي تشابه. فليس بين المخلوقات من هو قادر على كل شئ، وليس بينها من هو تحت سيادة الآخر[٥٥]، لأن كل منها ملك لله نفسه: "*السموات تحدث بمجد الله*" (مز١٨: ١س)، و"*للرب الأرض وملؤها*" (مز٢٣: ١س) "*البحر رآه فهرب*" (مز١١٣: ١س). فالكل عبيد لذلك الذي هو خالقهم يفعلون كلمته ويطيعون أوامره. ولكن الابن هو ضابط الكل كالآب.

وهذا هو ما كُتِب وتبّين. وأيضًا فليس بين المخلوقات ما هو غير متغير بالطبيعة. فبعضًا من الملائكة "*لم يحفظوا رتبتهم*" (يه٦). "*والنجوم ليست ظاهرة أمامه*" (أي٢٥: ٥). والشيطان سقط من السماء، وأما آدم فعصى. وكل الأشياء متغيّرة. وأما الابن فهو غير متغيّر ولا متحوّل. وهكذا فإن بولس يذكّرنا من المزمور المئة والواحد: "*وأنت يارب أسست الأرض والسماء هي عمل يديك. هي تبيد ولكن أنت تبقى، وكلها كثوب تبلى، وكرداء تطويها فتتغير، ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى*" (عب١: ١٠ــ١٢). وأيضًا يقول "*يسوع المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد*" (عب١٣:٨).

(٤)

وأيضًا، فإن كل الأشياء المخلوقة لم تكن موجودة، ثم صارت

---

[٥٥] إن ما يقوله أثناسيوس هنا ــ على عكس ما كان يقوله أرسطو يبرز الفكر المسيحي عن الإنسان، أنه لا يوجد من البشر من هو عبد بالطبيعة للآخر.

موجودة لأنه "*صنع الأرض من لا شئ*" (إش٤٠: ٢٣)، "*ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة*" (رو٤: ١٧)، وهي أيضًا "مصنوعات" ومخلوقات من أجل ذلك فإن وجودها له بداية[٥٦]، لأنه "*في البدء خلق الله السموات والأرض*" (تك١:١)، وكل ما فيها. وأيضًا "*كل هذه صنعتها يدي*" (إش٦٦: ٢). لكن الابن هو كائن، وإله على الكل، مثل الآب، كما سبق أن أوضحنا. وهو ليس مصنوعًا بل هو صانع. هو ليس مخلوقًا بل هو خالق وصانع أعمال الآب. لأنه به "*صارت العالمين إلى الوجود*" (انظر عب١: ٢)، "*وكل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما صار*" (يو١: ٣). وكما شرح الرسول محتوى المزمور، فهو نفسه في البدء أسس الأرض، والسموات هي عمل يديه، وأيضًا ليس هناك من بين المخلوقات ما هو بالطبيعة إله. كل ما صار في الوجود قد دعى بحسب ما صاره. أحدها دعى سماء، وآخر أرضًا. والبعض كواكب، والبعض الآخر نجومًا، والبعض بحاراً، ثم أعماقاً، ثم حيوانات من ذوات الأربع، وأخيرًا الإنسان. وقبل ذلك الملائكة

---

[٥٦] من طبيعة المخلوقات بعكس طبيعة الابن، أن توجد من العدم. وهذا ما سبق أن كتبه القديس أثناسيوس في المقالة الثانية ضد الآريوسيين حيث يقول: "المخلوقات والمصنوعات وحدها هي التي من المناسب أن يُقال عنها إنها من العدم" وأنها لم تكن موجودة قبل أن تُنشأ" (الترجمة العربية ٢: ١ صفحة ٩). وانظر أيضاً المقالة الأولى حيث يقول "أما إن كانوا يبحثون الأمر بفضول وحب استطلاع قائلين لماذا لا يخلق الله على الدوام وهو القادر أن يخلق دائمًا، فليسمعوا أنه بالرغم من أن الله له القدرة على الدوام أن يخلق إلا أنه ليس في استطاعة المخلوقات أن تكون أزلية لأن هذه المخلوقات وجدت من العدم، ولم تكن موجودة قبل أن تخلق، فكيف يمكن إذن لهذه المخلوقات التي لم تكن موجودة قبل أن تخلق، أن تكون موجودة مع الله الكائن دائمًا، أما الابن فلكونه غير مخلوق بل هو من ذات جوهر الآب فإنه كائن دائمًا (الترجمة العربية ١: ٢٩ ص ٦٠، ٦١).

ورؤساء الملائكة والشاروبيم والسيرافيم والقوات والرئاسات والسلاطين والأرباب، والفردوس، ويظل كل واحد منها هكذا كما خُلِق. ولكن إن كان البعض منها قد دعى آلهة، فذلك ليس بحسب الطبيعة بل بحسب اشتراكها مع الابن، لأنه هكذا أيضًا قال هو نفسه: "*إن قال آلهة أولئك الذين صارت إليهم كلمة الله*" (يو١٠: ٣٥). ومن أجل هذا فإنهم ليسوا آلهة بالطبيعة، فإن بعضهم قد يعاني التغيّر[٥٧] في وقت ما ويسمعون القول: "*أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلي كلكم، لكن مثل الناس تموتون*" (مز٨١: ٦، ٧). هكذا كان ذلك الذي سمع: "*أنت إنسان لا إله*" (حز٢٨: ٩) أما الابن فهو إله حقيقي مثل الآب، لأنه هو في الآب والآب فيه. وهذا ما كتبه يوحنا ما تبيّن. ويترنم داود: "*كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب ملكك*" (مز٤٤: ٧). وإشعياء يصرخ: "*تعب مصر، وتجارة الكوشيين، والسبئيون ذوو القامة إليك يعبرون، وخلفك يمشون مقيدي الأيدي، ولك يسجدون لأن الله فيك، لأنه إله إسرائيل ونحن لم نعرفك*" (إش٤٥: ١٤، ١٥س). فمن هو الإله الذي فيه الله إلا الابن القائل: "*أنا في الآب والآب فيَّ*" (يو١٤: ١٠).

[٥٧] أي لأنها كائنات ليست بطبيعتها آلهة، فإنها قابلة للتغير. هذه العبارة لها أهمية خاصة إذ توضح أن أثناسيوس كان يعتبر أن الـ Theopoisis (ثيئوبييسيس) أي "يؤله أو يجعله إلهًا"، ليس فقط نعمة خاصة بالدهر الآتي بل تبدأ منذ الآن. ويتضح هذا من أن أثناسيوس يطابق بين Hiopoisisi , Theopoisisi (أيوبييسيس) "أي يجعله ابنًا" في C. Ar. III 19. إذ يعتبر الأخيرة (البنوة) بكل وضوح أنها ملكية نحصل عليها منذ الوقت الحاضر (انظر Ad. Episc. I).

(٥)

وإذن، فحيث إن هذه الأشياء موجودة حقًا ومكتوبة، فمن هو الذي لا يعرف جيداً أن الابن ينبغي أن يكون واحدًا في الجوهر مع الآب، حيث إن الابن ليس بينه وبين المخلوقات أية مشابهة، ولكن كل ما للآب هو للابن؟ وكان من الممكن أن يكون واحدًا في الجوهر مع المخلوقات لو كان له معها أية مشابهة أو قرابة. وحيث إنه غريب عن المخلوقات حسب الجوهر، **ولكونه الكلمة الخاص بالآب**، وهو لا يختلف عنه، وحيث إن كل ما للآب هو له، فذلك يقتضي أنه من نفس جوهر الآب. وهذا ما أدركه الآباء حينما اعترفوا في مجمع نيقية أن الابن مساوي للآب ومن نفس جوهره.

لقد تحققوا جيدًا أن الجوهر المخلوق لا يستطيع أبدًا أن يقول "*كل ما للآب هو لي*" (يو١٦: ١٥). وبسبب أن وجود الجوهر المخلوق له بداية، فهو ليس كائنًا ولم يكن أزليًا، ولذلك فحيث إن الابن له هذه الخصائص، وحيث إن كل الأشياء السابق ذكرها، والتي للآب هي للابن فمن الضروري أن يكون جوهر الابن غير مخلوق بل هو من نفس جوهر الآب. لهذا السبب فلا يمكن أن يكون جوهره مخلوقًا فهو يملك خواص الله، تلك الخواص التي له[٥٨] والتي بها يعرف الله: فمثلاً الضابط الكل والكائن، وغير المتغير، والخصائص الأخرى التي سبق ذكرها، حتى لا يبدو الله نفسه في نظر الأغبياء أن له نفس جوهر

[٥٨] لا يعتبر القديس أثناسيوس أن هناك خواص عرضية في الله بل كل خواصه جوهرية. فكل ما هو له فهو يكونه.

المخلوقات، لو كانت له الخصائص التي يمكن أن تكون للمخلوقات.

(٦)

وهكذا يمكننا أن ندحض كفر أولئك الذين يقولـــون أن كلمـــة الله مخلوق. إيماننا هو بالآب والابن والروح القدس حسب ما قال الابـــن نفسه للرسل " *اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس*" (مت٢٨: ١٩). وقد تكلّم هكذا حتى يمكننا بواسطة مـــا نعرفه أن نفهم الأمور التي سبق أن تكلمنا عنها. وكما أننا لا نقـــول عن آبائنا إنهم خالقون بل والدون ولا يقول أحد منا إننا مخلوقو الآباء بل أبناء بالطبيعة ومن نفس جوهرهم، هكذا إن كان الله أبًا فلابـــد أن يكون أبًا لمن هو ابن بالطبيعة ومن نفس جوهر الآب. فإبراهيم لـــم يخلق اسحق بل ولده. وبصلئيل وألياب لم يلدا، بل صنعا كل أعمـــال خيمة الاجتماع. وبانى السفينة والبنّاء لا يلدان ما يصنعانه، لكن كل منهما يبني، الواحد السفينة والآخر البيت. فاسحق لم يخلق يعقـــوب ولكن ولَدَه بالطبيعة ومن نفس جوهره، وبالمثل ولَدَ يعقـــوب يهـــوذا وأخوته. وكما أنه جنون أن يقول أحد إن البيت هو من نفس جـــوهر الباني والسفينة من نفس جوهر بانيها، فإنه من الصحيح أن يُقـــال إن كل ابن هو من نفس جوهر أبيه. فإذن إن كـــان يوجـــد أب وابـــن، فبالضرورة أن يكون الابن بالطبيعة وبالحق ابنًا. وهذا يعني أنه من نفس جوهر الآب كما سبق أن أوضحنا كثيرًا.

وقد قيل عن الأشياء المخلوقة: " *هو تكلم فوجدت هو أَمَرَ فخلقت*"



(مز١٤٨: ٥). أما عن الابن فيقول: "*فاض قلبي بكلمة صالحة*" (مز٤٤: ١). وقد عرف دانيال ابن الله، وعرف أيضًا أعمال الله، فمن ناحية رأى الابن وهو يطفئ الأتون (انظر دا ٣: ٢٥). ومن ناحية قال عن الأعمال " فلتبارك الرب جميع أعمال الرب" (تسبحة الفتية الثلاثة ٣٥)، ثم ذكر كل واحدة من المخلوقات، كل على حدة، ولكنه لم يحص الابن من بينها، لأنه كان يعرف أن الابن ليس أحد الأعمال، ولكن بواسطته صارت الأعمال موجودة. وهو في الآب مُسبّح ومرّفع جدًا. وكما أن الله يكشف بواسطته لأولئك الذين يعرفونه، هكذا بواسطته أيضًا، فإن البركة والتسبيح والمجد والجبروت، يُعتَرف بها للآب بواسطته وفيه، لكي يكون مثل هذا الاعتراف مرضيًا كما تقول الكتب. ومن هذه الأقوال ومن أقوال كثيرة أخرى تبيّن ويتبيّن أن من يقول أن كلمة الله مخلوق فهو كافر.

(٧)

ولكن حيث إنهم يحتجون بما هو مكتوب في الأمثال: "*الرب خلقني أول طرقه لأجل أعماله*"[٥٩] (أم٨: ٢٢س)، ويضيفون "أنه خُلِقَ" وأنه مخلوق!: إنه من الضروري أن نوضح من هذه العبارة أيضًا كم

---

[٥٩] " **فإن الرب خلقني أول طرقه**": عالج القديس أثناسيوس هذه الآية من سفر الأمثال التي كان يحتج بها الآريوسيين، باستفاضة في كتابه المقالة الثانية ضد الآريوسيين، حيث يفسر لفظ "خلق" على أنه يقصد به الطبيعة البشرية الخاصة بالمسيح. انظر الترجمة العربية لهذه المقالة من فصل ١٨ إلى فصل ٧٢ ترجمة الأستاذ صموئيل كامل عبد السيد والدكتور نصحي عبد الشهيد. نشر مركز دراسات الآباء القاهرة ١٩٨٧.

هم يضلون كثيرًا، إذ هم لا يدركون هدف الكتاب الإلهي. فإذا كان ابنًا فلا يدعى مخلوقًا[٦٠]، لأنه لو كان مخلوقاً فلا يدعى ابنًا. لأننا قد بيّنا فيما سبق، كم أن الفارق بين المخلوق والابن هو عظيم، ولكن حيث إن "التكميل"[٦١]، لا يتم باسم خالق ومخلوق، بل باسم آب وابن، فبالضروري يجب أن لا يدعى الرب مخلوقًا بل ابنًا. ويقول الهرطوقي ولكن أليس هذا مكتوباً، نعم أنه مكتوب. ولكن من الضروري أن يقال هذا ولكن الهراطقة يسيئون فهم ما هو مكتوب حسنًا، لأنهم لو كانوا قد أدركوا وعرفوا سمات المسيحية لما كانوا قد دعوا رب المجد مخلوقاً ولا كانوا قد تعثروا في ما هو مكتوب حسنًا.

ولكن هؤلاء "*لم يعرفوا ولم يفهموا*" (مز٨١: ٥س). لذلك كما هو مكتوب: "*في الظلام يسيرون*" (مز٨١: ٥س). ومن الضروري لنا أن نتكلم، لكي يتضّح أنهم أغبياء في هذا الأمر أيضًا ولكي لا نتخلى عن

---

٦٠ " **فإن كان ابنًا فلا يُدعى مخلوقًا**": هذه النقطة سبق أن تحدث عنها القديس أثناسيوس في كتابه de. Dec. 3 حيث يقول "إن كان ابناً فهو غير مخلوق، وإن كان مخلوقًا فهو ليس ابنًا، لأن هناك اختلافًا عظيمًا بين الولادة والخلق. ولا يمكن أن يكون الابن ابناً ومخلوقًا في نفس الوقت إلا إذ اعتبر أن جوهره من الله وغريب عن اله في نفس الوقت. وكان الآريوسيون يجادلون بالقول بأنه لا يوجد اختلاف بين الولادة والخلق، إذ أن الكتب المقدسة في تصورهم تنسب كلا التعبيرين إلى الله. وأن لقب "ابن" هو حسب رأيهم متماثل تمامًا مع تفسيرهم (لأمثال٨:٢٢): حيث يعتبرون الابن مخلوقًا. أما أثناسيوس فيؤكد أن التطابق بين الولادة والخلق هو أمر مستحيل وأن على الآريوسيين أن يختاروا بين البنوة والمخلوقية التي يستنبطونها من أمثال ٨: ٢٢.

فهو يقول "لأن المخلوقات هي أعمال الصانع من خارجه، أما المولود فليس من خارجه وليس عملاً بل هو مولود جوهر الآب الذاتي. لذا فبينما "الأعمال" هي مخلوقات، إلا أن كلمة الله هو ابن وحيد الجنس". المقالة الثانية ضد الآريوسيين ٥٦.

٦١ أي طقس المعمودية (انظر رسالة ١: ٢٩).



توبيخهم على كفرهم، فربما يغيّرون فكرهم، وإذن، فهذه هي سمة إيماننا بالمسيح: ابن الله، إذ هو "كلمة" الله "*لأنه في البدء كان الكلمة.. وكان الكلمة الله*" (يو١:١)، وهو حكمة الآب وقوته: "*لأن المسيح قوة الله وحكمة الله*" (١كو١: ٢٤)، وفي ملء الأزمنة صار إنسانًا لأجل خلاصنا، لأن يوحنا بعد أن قال: "*في البدء كان الكلمة*"، أضاف بعد قليل: "*والكلمة صار جسدًا*" (يو١: ١٤) أي " صار إنسانًا". والرب قال عن نفسه "*لماذا تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمتكم بالحق*" (يو٨: ٤٠). وبولس إذ قد تعلم منه قال "*إله واحد، ووسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح*" (١تي٢: ٥). وإذ صار إنسانًا، وقد تمم تدبيره الإنساني، وإذ قد طرح وأبطل الموت الذي كان قائمًا ضدنا، فهو الآن يجلس عن يمين الآب، إذ هو في الآب والآب فيه، كما كان دائماً وهكذا يكون على الدوام.

(٨)

وسمة إيماننا هذه مأخوذة من الرسل بواسطة الآباء. فيجب إذن على من يقرأ الكتاب، أن يفحص ويميز متى يتكلّم (الكتاب) عن ألوهية الكلمة، ومتى يتكلّم عن أموره الإنسانية، لئلا يُفهم أحدهما بدل الآخر، فنقع فى نفس الخلط الذي سقط فيه الآريوسيين. وإذ نعرف أنه الكلمة نعرف أن "*به صار كل شئ وبغيره لم يوجد شئ*" (يو١: ١٧)، و"*بكلمة الرب صنعت السموات*" (مز٣٢: ٦س) وأيضًا "*يرسل كلمته فيشفي كل الأشياء*" (مز١٠٦: ٢٠)، وإذ نعرف أنه الحكمة، نعرف

أن "*الله بالحكمة أسس الأرض*" (أم٣: ١٩)، وأيضًا الآب "*صنع كل الأشياء بالحكمة*" (مز١٠٣: ٢٤). وإذ نعرف أنه الله فقد آمنا أنه المسيح، لأن داود يرنم: "*عرشك يا الله إلى دهر الدهور، قضيب استقامة قضيب ملكك. أحببت البر وأبغضت الآثم، من أجل ذلك مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك*" (مز٤٤: ٦ـــ٧). ويقول في إشعياء عن نفسه "*روح الرب على لأنه مسحني*" (إش٦١: ١). وقد اعترف بطرس: "*أنت هو المسيح ابن الله الحي*" (مت١٦: ٢٦). وهكذا على نفس النحو، إذ نعرف أنه قد صار إنسانًا، فنحن لا ننكر ما يقال عن إنسانيته: " فمثلاً أنه جاع، وعطش، وضرب، وبكى، ونام، وأخيرًا احتمل الموت على الصليب من أجلنا. لأن كل هذه الأشياء كتبت عنه. وأيضًا هكذا فالكتاب لم يخف، بل قال "خلق"، رغم أنها تناسب البشر. لأننا نحن البشر خلقنا وصنعنا. ولكن كما أنه حينما نسمع أنه جاع، ونام، وضرب، لا ننكر ألوهيته: هكذا حينما نسمع القول "خلق". فإننا نستنتج ونتذكر أنه إذ هو الله قد خُلِق إنسانًا. لأن ما يخص الإنسان هو أن يُخلَقْ، أو الأشياء التي قيلت سابقًا، كالجوع وما يشبهه.

(٩)

وأيضًا ذلك القول الذى مع أنه قول حسن، إلاّ أنهم يسيئون فهمه، وأعني: "*أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد، ولا الملائكة ولا الابن*" (مر١٣: ٣٢).

وهذا القول له أيضًا معنى حقيقي. فهم يظنون من عبارة "ولا الابن" أنه بكونه يجهل. فهذا يدل على أنه مخلوق. ولكن ليس الأمر هكذا. حاشا! وكما أنه حينما قال "خلقني" فقد تكلّم كإنسان، هكذا أيضًا فإنه تكلّم كإنسان حينما قال "ولا الابن". وهناك سبب وجيه لحديثه هكذا، إذ أنه صار إنسانًا، كما هو مكتوب لأنه أمر يخص البشر أن يجهلوا وأن يجوعوا وغير ذلك، " لأنهم لا يعرفون ما لم يسمعوا ويتعلموا". ولذلك ، فلأنه صار إنسانًا، فهو يظهر الجهل الذي يخص البشر. فأولاً: لكي يبيّن أن له جسدًا إنسانيًا بالحقيقة. وثانيًا: لكي إذ يكون له جهل البشر في جسده يفتدي الإنسانية من كل شئ، ويطهّرها ويقدّمها كاملة ومقدسة للآب.

فأي عذر آخر سوف يكتشفه الآريوسيون؟ ماذا إذن سوف يبتدعونه ليثرثروا حوله؟ لقد وبخوا على عدم إدراكهم لعبارة "*الرب خلقني لأجل أعماله*" (أم٨: ٢٢). وقد تبين أنهم لا يدركون عبارة "ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعلم بهما أحد ولا الملائكة". "ولا الابن". فبقوله "خلقني" يشير إلى "الإنسان". إذ أنه صار إنسانًا، فخلق ولكن بقوله "*أنا والآب واحد*"، و"*الذي رآني فقد رأى الآب*" و"*أنا في الآب والآب فيَّ*" (يو١٠: ٣؛ ١٤: ٩ ؛ ١٤: ١٠)، يشير إلى أزليته. وأنه واحد في الجوهر مع الآب. وهكذا أيضًا حينما يقول: "*لا يعلم بهما أحد ولا الابن*"، يتكلم مرة أخرى كإنسان، لأن الجهل أمر يخص البشر. ولكن حينما يقول: "*ليس أحد يعرف الآب إلا الابن، ولا أحد يعرف الابن إلا الآب*" (متى١١: ٢٧)، فهو يعرف بالأحرى جداً الأشياء المخلوقة.

وفي الإنجيل حسب يوحنا، قال التلاميذ للرب: " *الآن نعلم أنك عـــالم بكل شئ*" (يو١٦: ٣٠). وهذا يدل على أنه ليس هناك شئ يجهله، إذ هو الكلمة الذي به صار كل شئ. وحيث إن " ذلك اليوم هو مـــن" كـــل الأشياء" فإنه سوف يصير "يحدث"، به رغم أن الآريوسيين يسخرون ربوات المرات.



الرسـالة الثالثة

(١)

ربما تتعجب لماذا حينما كُلِّفت أن أختصر وأن أوضح بإيجـاز، الرسالة التي كتبتها عن الروح القدس، تلاحظ كما لو أنني قد تركت جانبًا كلامي عن هذا الموضوع، وكتبت ضد أولئك الذين يكفـرون بابن الله ويدعونه مخلوقًا، ولكني أعرف جيدًا أنك لن تلومني عنـدما تعلم السبب، بل إن تقواكم ستتبيّن ذلك، عندما ترى أن الأمر معقول، لأن الرب نفسه قال عن الروح: "*لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به... لأنه يأخذ مما لي ويخبركم*" (يو١٦: ١٣و١٤). وإذ نفخ فإنـه أعطى "الروح" للتلاميذ من عنده، وهكذا سكبه الآب "*على كل بـشر*" حسب ما هو مكتوب (يوئيل٢: ٢٨).

لذلك، فقد كان من الطبيعي أني تحدثت أولاً وكتبت عن ابن الله، حتى أنه من معرفتنا عن الابن، يمكن أن تكون لنا معرفة حقيقية عن الروح، لأننا سنجد أن خصوصية الروح نحـو الابـن، هـي مثـل خصوصية الابن نحو الآب. وكما يقول الابن "*كل ما للآب هو لي*" (يو١٦: ١٥)، هكذا فإننا سنجد أن كل هذه الأشياء، هي في الروح أيضًا بواسطة الابن. وكما أعلن الآب عن الابن قائلاً "*هـذا هـو ابنـي الحبيب الذي به سررت*" (مت٣: ١٧)، هكذا الـروح هـو للابـن لأن الرسول يقول: "*أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخًا يا أبا الآب*" (غل٤: ٦) والأمر الجدير بالملاحظة هو ما قاله الابن: "*ما لـي فهـو*

للآب" (يو١٧: ١٠). هكذا الروح القدس الذي قيل إنه للابن، فهو للآب لأن الابن نفسه يقول: "*ومتى جاء المعزي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي*" (يو١٥: ٢٦). وبولس يكتب أيضًا "*ليس أحد من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه، هكذا أيضًا أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله، ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذي من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله*" (١كو٢: ١١، ١٢). وفي كل الكتاب الإلهي، سوف نجد أن الروح القدس الذي يقال عنه أنه للابن يقال عنه أيضًا أنه لله. وهذا ما كتبناه في الرسائل السابقة.

لذلك، إن كان الابن بسبب خصوصيته مع الآب، وبسبب أنه المولود الذاتي لجوهر الآب فهو ليس مخلوقًا بل من نفس جوهر الآب. وبالمثل فإن الروح القدس لا يمكن أن يكون مخلوقًا بل أن من يقول هذا فهو كافر، وذلك بسبب خصوصيته مع الابن الذي بواسطته، يعطي لجميع البشر، ولأن كل ما له فهو للابن.

(٢)

هذه الأسباب كافية لأن تقنع كل محب للمشاكسة، بألاّ يستمر في القول بأن روح الله مخلوق، وهو الذي في الله، والذي يفحص أعماق الله، والذي يُعطَي من الآب بواسطة الابن، وحتى لا يضطر نتيجة لهذا أن يدعو الابن أيضًا مخلوقًا الذي هو الكلمة، والحكمة، والرسم، والشعاع، والذي من يراه يرى الآب. وحتى لا يسمع أخيرًا "*كل من*



ينكر الابن ليس له الآب أيضًا " (١يو٢: ٢٣). لأن مثل هــذا الإنــسان سيصل بعد قليل إلى القول مع الجاهل "*ليس إله*" (مز١٤: ١).

ورغم ذلك فلكي يكون برهاننا ضد عديمي التقوى أكثــر قبــولاً، يكون حسنًا أن نضع في اعتبارنا تلك الأسباب التي تبــين أن الابــن ليس مخلوقًا، ومنها يتبيّن أيضًا أن الروح ليس مخلوقًا. فالمخلوقــات مخلوقة من العدم ولها بداية وجود، لأنه "*في البدء خلق الله السموات والأرض*" (تك١:١)، وكل ما فيها. وأما الروح القدس فهــو مــن الله، ويُقال عنه إنه "من الله" كما قال الرسول. ولكن إن كان الابن لــيس من العدم بل من الله فمن الطبيعي ألاّ يكون مخلوقًــا، وبالــضرورة يكون الروح غير مخلوق، لأننا قد اعترفنا أنه من الله. فالمخلوقــات هي التي من العدم.

(٣)

وأيضًا فالروح يدعى ــ وهو كذلك ــ مسحة وخــتم. إذ يكتــب يوحنا "*وأما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجــة بكم إلى أن يعلمكم أحد بل كما تعلمكم مسحته، روحه، عن كل شئ*" (١يو٢: ٢٧). وقد كتب في إشعياء "*روح الرب علىَّ لأنــه مــسحنى*" (إش٦١: ١). وأيضًا بولس يكتب "*الذي فيه أيضًا إذ آمنتم ختمتم*" (أف١: ١٣). وأيضًا "*لا تحزنوا روح الله القدوس الذي به ختمتم ليوم الفداء*" (أف٤: ٣٠). فالمخلوقات تُمسح وتُختم فيه. ولكن إن كانت المخلوقــات تُمسح وتُختم فيه فلا يكون الروح مخلوقًا، لأن الذي يَمسح ليس مثل

الذين يُمسَحون. ولأن المِسحة أيضًا هي مِسحة الابن، حتى أن الذي عنده الروح يقول "*نحن رائحة المسيح الزكية*".

والختم يعطى بصمة الابن، حتى أن المختوم يكون صورة الابن إذ يقول الرسول "*يا أولادي الذين أتمخض بكم أيضًا إلى أن يتصور المسيح فيكم*" (غلا٤: ١٩). فإذا كان الروح هو رائحة الابن الزكية وصورته، فمن الواضح أن الروح لا يمكن أن يكون مخلوقًا. وكذلك، حيث إن الابن هو صورة الآب، فهو ليس مخلوقًا، وأيضًا لأنه كما أن من يرى الابن يرى الآب، هكذا فمن له الروح القدس، له الابن، وإذ يكون له، فهو هيكل الله، إذ أن بولس يكتب "*أما تعلمون أنكم هيكل وأن روح الله يسكن فيكم*" (١كو٣: ١٦). ويقول يوحنا "*بهذا نعرف أننا نثبت في الله وهو فينا، لأنه قد أعطانا من روحه*" (١يو٤: ١٣). وإذا كان الابن في الآب، والآب فيه، ولذلك اعترف أنه ليس مخلوقًا، وإذن فمهما كان الأمر، يستحيل أن يكون الروح القدس مخلوقًا، لأن الابن فيه وهو في الابن، ولذلك فمن يقبل الروح يدعى هيكلاً لله.

وأيضًا فمن المستحسن أن ننظر معًا إلى الأمر في ضوء ما يأتي: إذا كان الابن هو كلمة الله فهو واحد كما أن الآب واحد، لأنه "*يوجد إله واحد الذي منه جميع الأشياء... ورب واحد يسوع المسيح*" (١كو٨: ٦). لذلك يُقال ويُكتب عنه إنه "الابن الوحيد"، وأما المخلوقات فهي كثيرة ومتنوعة: ملائكة، رؤساء ملائكة، شاروبيم، رئاسات، سلاطين، وغير ذلك كما سبق أن قلنا. وإذا كان الابن ليس من بين

الكثيرين ولكنه واحد، كما أن الآب واحد وهو ليس مخلوقًا فبالضرورة ــ لأنه ينبغي أن نأخذ من الابن معرفتنا عن الروح ــ لا يمكن أن يكون الروح مخلوقًا، لأنه ليس من بين الكثيرين، بل هو نفسه واحد.

(٤)

٤ ــ وهذا ما يعرفه الرسول إذ يقول: "*هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء*"(١كو١٢: ١١). وبعد قليل أضاف: "*لأننا جميعًا بروح واحد أيضًا اعتمدنا إلى داخل جسد واحد... وجميعنا سقينا روحًا واحدًا*" (١كو١٢: ١٣). وأيضًا، لأنه إن كان يجب أن نأخذ معرفتنا عن الروح من الابن، وإذن فمن الواجب أن نقدّم براهينًا مستمدة منه، فالابن يوجد في كل مكان لأنه كائن في الآب، والآب فيه، وهو يضبط كل الأشياء ويحفظها وقد كتب "*فيه يقوم الكل*" سواء ما يرى وما لا يرى، "*وهو قبل كل شئ*" (كو١: ١٧). ولكن المخلوقات توجد في الأماكن المخصصة لها: الشمس والقمر والأنوار الأخرى في الجلد، والملائكة في السماء والناس على الأرض. ولكن إذا كان الابن ليس في أماكن مخصصة له، بل هو كائن في الآب ويوجد في كل مكان، وأيضًا هو خارج كل الأشياء، فهو ليس مخلوقًا، ويتبع ذلك أن الروح أيضًا لا يمكن أن يكون مخلوقًا لأنه ليس في أماكن مخصصة له، بل هو يملأ كل الأشياء ويوجد خارج الكل لأنه هكذا قد كُتِب "*روح الرب ملأ المسكونة*" (حكمة١: ٧)، ويرتل داود: "*إلى أين أذهب من روحك*"(مز١٣٨: ٧)، كما أنه ليس كائنًا في أى مكان من الأمكنة، بل هو

خارج كل الأشياء، وهو في الابن كما أن الابن هو في الآب. لذلك فهو ليس مخلوقًا كما قد تبيّن.

وبالإضافة إلى كل ما سبق، فإن الاعتبارات التالية سوف تثبت إدانة البدعة الآريوسية. ومرة أخرى فإنه من الابن سيتضح ما نعرفه عن الروح. فالابن هو خالق مثل الآب لأنه يقول: "*الأشياء التي أرى الآب يعملها، هذه أعملها أنا أيضًا*" (انظر يو٥: ١٩). وبالتأكيد "*كل شئ به صار، وبدونه لم يكن شئ مما صار*" (يو١: ٣). ولكن إن كان الابن مثل الآب خالقًا، فهو ليس مخلوقًا. وإذا كانت كل الأشياء به خُلِقت، فهو ليس من بين الأشياء المخلوقة، وعلى ذلك يتبيّن، أن الروح ليس مخلوقًا، لأنه قد كتب عنه في المزمور المئة والثالث: "*تنزع روحها فتموت وتعود إلى التراب. ترسل روحك فتخلق*[٦٢]*، وأنت تجدد وجه الأرض*" (مز١٠٣: ٢٩و٣٠).

(٥)

وهكذا فمما هو مكتوب يتبيّن أن الروح ليس مخلوقًا، بل هو فاعل في عمل الخلق، لأن الآب يخلق كل الأشياء بالكلمة في الروح، لأنه حيث يكون الكلمة، فهناك أيضًا الروح. والأشياء المخلوقة بالكلمة تنال قوة الوجود من الكلمة بالروح، لأنه هكذا كتب في المزمور الثاني والثلاثين: "*بكلمة الرب تأسست السموات وبروح فيه كل قواتها*" (مز٣٢: ٦). وهكذا يتبيّن أن الروح غير منفصل عن الابن،

---

[٦٢] أي تُخلق المخلوقات.

حتى أنه من الكلام الذي يُقال لا يوجد أي مجال للشك. لأنه عندما صار الكلمة إلى النبي، فإن النبي كان يتكلّم في الروح بالأمور التي أُعطيت له من الكلمة. وهكذا كتب في سفر الأعمال عندما قال بطرس: "*أيها الأخوة، كان ينبغي أن يتم هذا المكتوب، الذي سبق الروح القدس فقاله*" (أع١: ١٦). وفي زكريا كتب، عندما صار الكلمة إليه، "*لكن أقبل كلامي وفرائضي التي أوصى بها الأنبياء بروحي*" (زك١: ٦). وبعد قليل، عندما كان يوبخ الشعب قال "*جعلوا قلبهم عنيدًا لئلا يسمعوا الشريعة والكلام الذي أرسله الرب ضابط الكل بروحه عن يد الأنبياء الأولين*" (زك٧: ١٢). وعندما تكلّم المسيح في بولس كما قال هو نفسه "*أنتم تطلبون برهان المسيح المتكلم فيَّ*" (٢كو١٣: ٣) فلم يكن أحد يمنحه القوة لكي يتكلّم سوى الروح الذي عنده. لأنه هكذا يكتب "*حسب موآزرة روح يسوع المسيح لي*" (في١: ١٩).

وأيضًا عندما تكلّم فيه المسيح قال: "*غير أن الروح القدس يشهد في كل مدينة أن وثقًا وشدائد تنتظرني*" (أع٢٠: ٢٣). لأن الروح ليس خارج الكلمة، بل إذ هو في الكلمة فهو في الله بالكلمة. وهكذا تُعطَي المواهب الروحية في الثالوث. لأنه كما يكتب لأهل كورنثوس في توزيع المواهب: الروح نفسه، والرب نفسه، والله نفسه "*هو الذي يعمل الكل في الكل*" (١كو١٢: ٤ـ٦)، لأن الرب نفسه، بالكلمة، في الروح يعمل كل الأشياء ويعطيها.

(٦)

وبكل تأكيد فحينما كان يصلي لأجل الكورنثيين، فقد كان يصلي

فى الثالوث[٦٣] قائلاً: "*نعمة الرب يسوع المسيح ومحبة الله وشـــركة الروح القدس مع جميعكم*" (٢كو١٣: ١٤). لأننا عندما نشترك فـــي الروح تكون لنا نعمة الكلمة، وفي الكلمة تكون لنا محبة الآب. وكما أن نعمة الثالوث واحدة، كذلك فالثالوث غير منقسم، وهذا ما يمكـــن للمرء أن يراه، من جهة القديسة مريم نفسها، فحينما أُرسِلَ المـــلاك جبرائيل ليعلن حلول الكلمة عليها قال: "*الروح القدس يحل عليـــك*" (لو١: ٣٥)، عالمًا أن الروح كان في الكلمة، وأضاف مباشرة "*وقـــوة العلي تظلّلك*" (لو١: ٣٥). لأن "*المسيح هو قوة الله وحكمة الله*" (١كو١: ٢٤). وإذا كان الروح في الكلمة، فمن الجلي أيضًا أن الروح كان في الله أيضًا بالكلمة، وبالمثل عندما يصير الروح فينا، عندئذ يأتي الابن والآب، ويصنعون منزلاً فينا، لأن الثالوث غير منقسم، لأن ألوهيتـــه واحدة، ويوجد إله واحد، "*على الكل وبالكل وفي الكل*" (أف٤: ٦).

هذا هو إيمان الكنيسة الجامعة، لأن الـــرب أســـسها وأصـــلها فـــي الثالوث، حينما قال لتلاميذه، "*اذهبوا وتلمذوا جميع الأمـــم وعمـــدوهم*

---

[٦٣] "**الصلاة في الثالوث**": نلاحظ أن هذا التعبير "يصلي في الثالوث" يستند على البركـــة الختاميـــة التي أعطاها الرسول بولس إلى كنيسة كورنثوس عندما قال "*نعمة ربنا يسوع المسي ومحبـــة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم*" (٢كو ١٣: ١٤). وعلى ذلك فإن الدخول في شركة الروح القدس هو في نفس الوقت دخول في نعمة الكلمة وفي محبة الآب. وفي ضوء هذا يمكن أن تفسر عبـــارة الرسول يهوذا "*مصلين في الروح القدس*" (يه٢٠). والمعنى هنا ينبغي أن يفهم في ضوء ما ســـبق أن ذكره القديس أثناسيوس في رسالة ١: ٢٨، من أن الكنيسة مؤسسة ومبنية على الإيمان بالثالوث. لذلك يكون الاعتراف بالثالوث هو الذي يجعل للصلاة صفتها الخاصة ومدلولها وشرعيتها. فالعبادة الصحيحة تقوم على أساس الإيمان الصحيح الذي هو الإيمان بالثالوث.

باسم الآب والابن والروح القدس" (متى٢٨: ١٩). فلو كان الروح مخلوقًا، لما وضعه مع الآب في الرتبة، حتى لا يكون الثالوث غير متماثل مع نفسه، عندما يوضع معه آخر غريب عنه. لأنه ماذا كان ينقص الله حتى أنه يأخذ جوهرًا غريبًا عنه ويجعله يشترك معه في مجده؟ حاشا، فلن يكون الأمر هكذا، لأنه هو نفسه قال: "أنا ممتلئ"[٦٤].

لذلك، فإن الرب نفسه، وضع الروح مع اسم الآب، لكي يبيّن أن الثالوث القدوس غير قائم من عناصر مختلفة، أي من خالق ومخلوق، بل إن ألوهيته واحدة. وإذ كان بولس يعرف هذا فقد علّم أن النعمة المعطاة، في الثالوث، هي واحدة قائلاً: "*رب واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة*" (أف٤: ٥). لأنه كما أن هناك معمودية واحدة، فهناك أيضًا إيمان واحد. لأن من يؤمن بالآب، فإنه في الآب يعرف الابن، ولا يعرف الروح إلاّ في الابن، ولذلك فهو يؤمن بالابن وكذلك بالروح القدس، لأن ألوهة الثالوث واحدة، إذ هو يُعرف من واحد هو الآب.

(٧)

هذه هي ملامح الإيمان الجامع. وأما هؤلاء الذين يجدّفون على الروح ويقولون عنه إنه مخلوق، فإذا كانوا لا يغيّرون فكرهم بعد هذا الذي قلناه، فإن ما سوف نقوله سيغمرهم بالخزى.

فإذا كان هناك ثالوث، وإن الإيمان هو إيمان بالثالوث، فليقولوا لنا: هل كان هو ثالوثًا بصفة دائمة، أم أنه كان هناك وقت لم يكن هو

---

[٦٤] انظر إشعياء١: ١١س.



ثالوثًا؟ فإن كان الثالوث أزليًا، فالروح إذن لا يكون مخلوقًـــا، لأنـــه كائن أزليًا مع الكلمة وفيه، أما المخلوقات، فقد كان هناك وقـــت لـــم تكن فيه موجودة ، فلو كان هو مخلوقًا والمخلوقات توجد مما لم يكن، فيكون من الواضح أنه كان هناك وقت لم يكن الثـــالوث ثلاثـــة بـــل اثنين. وهل هناك كفر ــ يمكن أن ينطق به إنسان ــ أعظم من هذا؟ فهم يقولون أن الثالوث يقوم على التغيّر والتقدم والتطور. وأنه كـــان اثنين، وانتظر ولادة مخلوق لكي ينضم إلـــى رتبـــة الآب والابـــن، فيصير ثالوثًا. وحاشا أن تدخل مثل هذه الفكرة إلى عقول المسيحيين. فكما أن الابن بسبب كونه موجودًا دائمًا فهو ليس مخلوقًا، هكذا فلأن الثالوث موجود دائمًا، فليس فيه أي مخلوق، لذلك فإن الروح لـــيس مخلوقًا، فكما كان دائمًا، هكذا يكون الآن، وكما هو الآن، فهكذا كان دائماً، هو الثالوث الآب والابن والروح القدس. واحد هو الذي علـــى الكل وبالكل وفي الكل (أف٤: ٦)، والذي هو "*مبارك إلى الأبد آمين*". كتبت هذا إليك باختصار كما طلبت، وها أنا أرســـله إليـــك. وأنـــت كرجل فهيم، إن كان به أي نقص، فاسعَ في تكميله، واقـــرأه لأهـــل الإيمان، وحذِّر هؤلاء الذين يحبون النزاع والتجدّيف، فربما يتوبـــون ولو متأخرًا، ويطهرون نفوسهم من الضلالة التي كانت فيهم ســـابقًا، فإنه من الأفضل لهم، كما هو مكتوب: "*أن يتحولوا ولا يتباطئوا*" لئلا بسبب إبطائهم، يسمعون ما قاله الرب: "*من قال كلمة على الـــروح القدس فلن يغفر له لا في هذا العالم، ولا في الآتي*" (مت١٢: ٣٢).



الرســالة الرابعة

(١)

درست الرسالة التي كتبتموها تقواكم الآن، وقد أدهشني جدًا جــسارة الهراطقة حتى أني انتهيت إلى أنه لا شئ يناسب أن يُقال عــنهم، إلاّ ما نصح به الرسول: " *الرجل المبتدع بعد الإنــذار مــرة ومــرتين أعرض عنه، عالمًا أن مثل هذا قد انحرف وهو يخطئ محكومًا عليه من نفسه*" (تي٣: ١٠، ١١). فهو إذ له فكر ملتوٍ، فإنه لا يسأل لكي يقتنع بما يسمعه أو لكي يغيّر رأيه نتيجة ما يتعلمه، ولكنه يــسأل بــسبب هؤلاء الذين خدعهم، لئلا يحكم عليه منهم، إذ صمت. أن مــا قلنــاه سابقًا كان يكفى. وكان يكفي لمثل هذه البراهين التي قدّمت لهــم، أن توقفهم عن التجديف على الروح القدس. إلاّ أنهم لم يكتفوا بل عاودوا جسارتهم حتى يظهروا أنهم، بعد أن تعلّمــوا أن يحــاربوا الكلمــة، يحاربون الآن ضد الروح القدس. وبعد قليل سيموتون في غبــاوتهم. وبالطبع فإذا أجاب أحد على أسئلتهم الحاضــرة فــإنهم سيــصيرون "*مخترعي شرور*"(رو١: ٣٠). فهم يسألون لا لكى يحصلوا على إجابات لأسئلتهم، ولا لكى يفهموا ما يسمعون فالحكمة تبعد عن أسئلتهم، فهم يقولون: إن لم يكن الروح القدس مخلوقًا، فهو إذن ابن ويكون بالتالي هو والكلمة أخان، وإذن فكما كتبت أنت هم يتكلمون قائلين: إن كــان الروح سيأخذ مما للابن ومنه يعطي كما هو مكتوب، فإنهم يمضون مباشرة قائلين: عندئذ يكون الآب جدًا والروح حفيدًا.

(٢)

فمَنْ حينما يسمع هذه الأمور يظل يعتبرهم مسيحيين، وليسوا بالحرى عبدة أوثان؟ لأن مثل هذه الأمور، يتكلّم بها عبدة الأوثان فيما بينهم ضدنا. فمن هو الذي يريد أن يجاوب على غباوتهم هذه؟ فأنني من جهتي، إذ قد فكرت كثيرًا، وأنا أبحث عن إجابة مناسبة لهم، فإني لم أجد سوى ذلك الذي حدث مع الفريسيين في ذلك الوقت. لأنه كما أن هؤلاء عندما سألوا المخلّص بخبث، سألهم هو أيضًا، لكيما يدركوا شر أفكارهم، وهكذا فحيث إن هؤلاء يسألون مثل هذه الأسئلة فعليهم أن يخبرونا بل بالحرى فليجاوبونا، عندما نسألهم كما سألوا لأنهم إذ يتكلّمون لا يفهمون إبداعاتهم، فربما عندما يسمعون ما يرددونه قد يتحققون من غباوتهم. فإن لم يكن الروح القدس مخلوقًا، بل هو من الله، وهو مُعطَى من الله، وإذن فهو ابن، ويكون هناك أخوان هو والابن، فإن كان الروح من الابن، والروح يقبل كل الأشياء من الابن كما قال الابن نفسه، وإذ هو الذي أعطاه للتلاميذ نافخًا فيهم (انظر يو٢٠: ٢٢)، (لأنكم أنتم أيضًا تعترفون بهذا)، وبالتالي يكون الآب جدا ويكون الروح حفيده. ولذلك يحق لنا أن نسألكم نفس الأسئلة التي تسألونها وتطلبونها منا. فإن كنتم تنكرون ما هو مكتوب فلا تدعون مسيحيين بعد، ويكون من المنطق أننا نحن المسيحيين نُسأل منكم. ولكن إن كنتم تقرأون نفس الكتب، التي نقرأها نحن، فهكذا يكون من الضروري أن تُسألوا منا عن نفس الأمور. وإذن فاخبرونا دون تردد، هل الروح هو ابن والآب هو جِد؟. ولكن إن كنتم تفكرون كما

فعل الفريسيون في ذلك الوقت، وتقولون فيما بينكم إن قلنا إنه ابن فسوف نسمع: أين كتب هذا؟ وأما إذا قلنا، أنه ليس أبناً فإننا نخاف لئلا يقولوا لنا كيف إذن كتب: نحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذي من الله؟ (١كو٢: ١٢). ولكن أن كنتم حينما تتجادلون فيما بينكم في مثل هذه الأمور، تقولون أيضًا نحن لا نعرف: فإنه من الضروري بالنسبة لمن يسأل منكم أن يصمت مقتنعًا بذاك الذي يقول: "*لا تجاوب الجاهل* حسب *حماقته لئلا تصير مثله*" (أم٢٦: ٤). فالصمت هو بالحرى أنسب جواب عليكم لكي تتحققوا من الجهل الذي فيكم.

(٣)

مرة ثانية إذن، فإنه من العدل أن نسألكم، من نفس الأسئلة التي تسألونها. وحيث إن الأنبياء يتكلّمون بواسطة روح الله، وأيضًا الروح القدس، يتنبأ في إشعياء كما تبيّن مما كتبناه سابقًا وإذن فالروح هو كلمة إلهية، وعلى ذلك يوجد كلمتان الروح والابن، لأن الأنبياء كانوا يتنبأون حينما تصير الكلمة إليهم. وأيضًا فبالإضافة إلى ذلك، وحيث أن كل الأشياء قد صارت بواسطة الكلمة، "*وبغيره لم يكن شئ مما كان*" (يو١: ٣)، وأيضًا "*الرب بالحكمة أسس الأرض*" (أم٣: ١٩)، وقد خلق كل الأشياء بالحكمة (مز١٠٣: ٢٤)، لأنه قد كتب كما تبيّن لنا سابقًا "*ترسل روحك فتخلق الأشياء*" (مز١٠٣: ٣٠). وإذن فإما أن يكون الروح هو الكلمة، أو أن الله خلق كل الأشياء باثنين (أي)

بالحكمة والروح. فكيف إذن قال بولس: "*إله واحد الذي منه كل الأشياء، ورب واحد، الذي بواسطته كل الأشياء*" (١كو٨: ٦)؟. وأيضًا حيث إن الابن هو صورة الآب غير المنظور (انظر كو١: ١٥)، فيكون الروح هو صورة الابن لأنه مكتوب: "*لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه*" (رو٨: ٢٩).

وعلى هذا الأساس، يكون الآب جِدًا، وحيث إن الابن قد أتي باسم الآب، وقد قال الابن: "*الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي*" (يو١٤: ٢٦)، فعلى هذا النحو أيضًا يكون الآب جِدًا. فماذا تقولون من جهة هذا وأنتم تتكلّمون فى كل شئ بدون تروٍ؟ وبماذا تتحاورون فيما بينكم؟ وهل تنتقدون مثل هذه الأسئلة وأنتم ترون أنفسكم فى حالة ارتباك؟ يجب أن تلوموا أنفسكم أولاً، لأنكم اعتدتم أن تسألوا مثل هذه الأسئلة، فاخضعوا للكتب المقدسة، وإذا تحيرتم فى الإجابة فلتتعلّموا في النهاية أن الروح لم يسمَّ ابنًا، ولكنه دعى الروح القدس أو روح الله. وكما أن الروح لم يسمَّ ابنًا، فهكذا لم يكتب عن الابن أنه هو الروح القدس. وإذن فحيث إن الروح لم يسم أبناً، ولا الابن هو الروح، فهل الإيمان يتناقض مع الحق؟ حاشا. ولكن بالأحرى فكل من المسميات المذكورة له معناه الخاص. لأن الابن هو المولود الذاتي لجوهر الآب وطبيعته. وهذا هو مدلول المسمى. فالروح الذي يدعى روح الله، وهو في الله، ليس غريبًا عن طبيعة الابن ولا عن ألوهة الآب. لذلك فهناك ألوهة واحدة في الثالوث أي في الآب وفي الابن وفي الروح القدس نفسه، وفي الثالوث نفسه معمودية وإيمان

واحد. فعندما يرسل الآب الروح، فالابن بواسطة النفخ في وجوه التلاميذ يعطيهم الروح لأن "*كل ما للآب هو للابن*" (يو١٦: ١٥). وحينما جاء الكلمة إلى الأنبياء، كان هؤلاء يتنبئون بالروح، كما هو مكتوب وكما قد تبيّن: "*بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها*" (مز٣٤: ٦).

(٤)

وهكذا فالروح ليس مخلوقًا بل هو خاص بجوهر الكلمة، وخاص بالله، والذي يُقال إنه كائن فيه. ومرة أخرى يجب أن لا نتجنب تكرار نفس الكلام. فرغم أن الروح القدس لا يدعى ابنًا، ولكنه ليس خارج الابن لأنه قد دعى روح التبني وكما أن "*المسيح هو قوة الله وحكمة الله*" (١كو١: ٢٤)، لذلك قيل عن الروح إنه "*روح الحكمة وروح القوة*" (إش١١: ٢). وحينما نشترك في الروح، يكون الابن لنا، وحينما يكون الابن لنا، يكون الروح لنا "*صارخًا في قلوبنا أبا أيها الآب*" كما قال بولس (غلا٤: ٦). ولكن حيث إن الروح هو روح الله، وقد كُتِب عنه إنه فيه لأن "*أمور الله لا يعرفها أحد إلّا روح الله الذي فيه*" (١كو٢: ١١)، وأيضًا قال الابن: "*أنا في الآب، والآب فيَّ*" (يو١٤: ١٠). فلماذا لا يكون لهذا وذاك نفس الاسم، ولكن الواحد هو ابن والآخر هو روح؟ فإن سأل أحدهم مثل هذا السؤال، فإن مثل هذا يكون مجنونًا، إذ أنه يفحص الأمور التي لا تفحص، ولا ينصت لقول الرسول: "*من عرف الرب أو من صار له مشيرًا*" (رو ١١: ٢٤). وغير ذلك، مَنْ ذا

الذى يتجاسر أن يغيّر أسماء تلك الأشياء التى سماها الله؟ لنأخذ أمثلة من الخليقة عينها. فحيث إن الخليقة قد وُجِدت بهذه الكيفية، فليقولوا لنا، لماذا دُعِي الواحد منها شمسًا والآخر سماءً، والآخر أرضًا، وبحرًا، وهواءً.

ولكن إن وُجِد الأغبياء أن هذا غير ممكن ـــ لأن كل مخلوق يبقى كما خُلِق ـــ فبالأولى جدًا، فإن الأشياء التي هي أعلا من المخلوقات يكون ثباتها أبديًا، فلا يكون الآب إلاّ أبًا وليس جِدًا، والابن هو ابن الله وليس أبًا للروح، والروح القدس هو روح قدس وليس حفيد الآب أو أخ الابن.

(٥)

وإذا قد برّهنا على هذه الأمور، فإن من يسأل: هل الروح أيضًا ابن؟ فإنه يكون مجنونًا، ولا ينبغي لأي أحد ـــ بسبب أن هذا لم يكتب ـــ أن يفصله عن طبيعة الله أو عما يخصه. بل كما مكتوب فليؤمن ولا يقول لماذا هكذا وليس هكذا؟ لئلا وهو يناقش مثل هذه الأمور، يبدأ فى أن يفكر ويقول أين أذن هو الله وكيف يكون؟ فسوف يسمع أخيرًا: "*قال الجاهل في قلبه ليس إله*" (مز١٣: ١س). لأن المسلّمات التي تعطي بالإيمان، تكون معرفتها مما لا يمكن التطفل عليه. وإذ سمع التلاميذ الكلمات: "*وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس*" (متى٢٨: ١٩)، لم يتطفلوا أو يسألوا: لماذا ذُكر الابن كثاني والروح كثالث، أو لماذا يكون الكل ثالوثًا. ولكنهم كما سمعوا هكذا آمنوا ولم



يسألوا مثلكم: ويقولوا هل الروح إذن هو ابن؟ وحينما ذكر الرب الروح بعد الابن، لم يسألوا هل الآب إذن هو جد، لأنهم لم يسمعوا "باسم الجد" بل "باسم الآب".

وإذا فكروا تفكيرًا سليمًا، كرزوا بهذا الإيمان في كل مكان. لأنه لم يكن ممكنًا أن يقال شئ آخر سوى ما قاله المخلّص: إنه هو نفسه الابن، والآخر هو الروح القدس. كما أن الترتيب الذي رتبوا به، غير قابل للتغيير كما هو الأمر بالنسبة للآب أيضًا[٦٥]. وكما أنه من غير الممكن التحدث عنه بطريقة أخرى سوى أنه آب، هكذا يكون من عدم التقوى التساؤل أن كان الابن هو الروح، أو أن الروح هو ابن. ومن أجل هذا حُكِم على سابيليوس أنه عدو للكنيسة إذ أنه تجاسر أن يقول على الآب إنه الابن، ويُطلق على الابن اسم الآب.

هل يجرؤ أحد بعد ذلك أن يقول، حينما يسمع كلمتي ابن وروح، أن الآب جد؟ أو أن الروح هو ابن؟ نعم، إنهم سيتجرأون هؤلاء هم الأونوميون والأودوكسيون واليوسابيون. ولكونهم مروجين للبدعة الآريوسية، فإنهم لا يضبطون ألسنتهم عن الكفر. فمن هو الذي سلّم هذه الأمور إليهم؟ ومن هو الذي علمهم؟ فبالتأكيد لم يتعلموا هذا من أحد الأسفار الإلهية، بل من فيض قلوبهم خرج هذا الجنون.

(٦)

وحيث إنه قد تبرّهن أن الروح ليس مخلوقًا، فإن كنتم تسألون،

---

[٦٥] يقصد هنا الترتيب المختص بالمعمودية.

هل الروح إذن هو ابن؟ فعندئذ يلزمكم أن تسألوا أيضًا هل الابن هو آب؟ لأنكم قد تعلمتم سابقًا أن الابن ليس مخلوقًا، إذ أن الأشياء المخلوقة قد خلقت به. أو تتساءلون هكذا: هل الروح إذن ابن، والابن أيضًا هو الروح القدس؟ ولكن إن كانوا يفكرون هكذا، فإنهم يصيرون مبعدين عن الثالوث القدوس ويحكم عليهم بأنهم بلا إله، لأنه يغيّرون اسم الآب والابن والروح القدس، وبحسب مشيئتهم ينظرون إليهم بشبه التناسل البشري، داعين إياهم حفدة وأجدادًا صانعين من جديد لأنفسهم أنساب آلهة الوثنيين.

ليس هذا هو إيمان الكنيسة، بل كما قل المخلّص: بالآب والابن والروح القدس. الآب الذي لا يمكن أن يدعى جِدًا، والابن الذي لا يمكن أن يدعى أبًا، والروح القدس الذي لا يُسَمى باسم آخر غير هذا. وفي هذا الإيمان لا تجوز مبادلة الأسماء. فالآب هو دائمًا آب والابن هو دائمًا ابن، والروح القدس يدعى دائماً الروح القدس. وأما فيما يختص بالعلاقات البشرية فالأمر ليس هكذا، حتى وإن كان هذا هو ما يتوهمه الآريوسيون "*فالله ليس مثل الإنسان*" كما هو مكتوب (عد٢٣: ١٠). حتى أنه يمكننا أن نقول إن البشر ليسوا مثل الله. لأنه فيما يتصل بالبشر فالآب ليس دائماً أبًا ولا الابن دائمًا ابنًا لأن الذي كان ابنًا لآخر يصير هو نفسه أبًا لابن، والابن الذي هو ابن لأبيه يصير أبًا لابن آخر. فإبراهيم مثلاً الذى كان ابنًا لناحور، صار أبًا لأسحق. وأسحق وقد كان ابنًا لإبراهيم صار أبًا ليعقوب لأن كل واحد منهم إذ هو جزء من والديه يولد ويصير هو نفسه أبًا لابن



آخر. أما بالنسبة إلى الألوهية فليس الأمر كذلك، لأن الله ليس مثل الإنسان. فالآب لم يولد من آب آخر، ولذلك فهو لا يلد ابنًا يصير أبًا لآخر. وليس الابن جزءًا من الآب، ولذلك فهو لم يولد ليلد ابنًا. وإذن ففي الألوهية وحدها الآب هو آب، وقد كان، ويظل دائمًا كما هو، لأنه هو الآب بحصر المعنى. وهو آب فقط. والابن هو ابن بحصر المعنى، وهو ابن فقط. ويثبت القول إن الآب هو آب ويدعى دائمًا أبًا. والابن هو ابن. والروح القدس هو دائمًا الروح القدس، وهو الذي قد آمنا به أنه من الله وأنه يُعطَى من الآب بواسطة الابن. وهكذا فالثالوث القدوس يظل غير قابل للتغيّر ويعرف في ألوهية واحدة. ولذلك فالذي يسأل هل الروح إذن هو ابن؟ كما لو كان الاسم يمكن أن يتغيّر، فهو واهم ويجعل نفسه مجنونًا، والذي يسأل هل الآب إذن جِد، فبابتداعه اسمًا للآب يضل في قلبه. وليس من الأمان أن نعطي جواباً أكثر من ذلك على صفاقة الهراطقة لأن ذلك يتعارض مع وصية الرسول[٦٦]. لأنه من الأفضل بالحرى أن نعطي المشورة كما أوصى بها.

(٧)

هذا الكلام يكفي لتوبيخ أقوالكم الحمقاء فلا تعودون تعبثون بعد بالألوهية. فمن شأن أولئك الذين يعبثون أن يسألوا عما هو غير مكتوب، وأن يقولوا: إذن فالروح هو ابن والآب هو جِد، وعلى هذا

[٦٦] انظر تيطس ٣: ١٠ "الرجل المبتدع بعد الإنذار مرة ومرتين أعرض عنه".

النحو يسخرون من ذلك الذي من قيصرية والذي من سكيثوبوليس[٦٧].
فيكفي لكم أن تؤمنوا أن الروح ليس مخلوقًا بل هو روح الله، وأن في الله ثالوثًا، آب وابن وروح قدس. وليس هناك حاجة لإطلاق اسم الآب على الابن، كذلك ليس مسموحًا أن نقول عن الروح إنه ابن، ولا أن نقول عن الابن إنه هو الروح القدس، بل هو هكذا كما قد ذكرنا. فألوهية الثالوث واحدة، وإيمان واحد، وتوجد معمودية واحدة تعطي فيه. وواحد هو التكميل[٦٨]. في يسوع المسيح ربنا. الذي به ومعه للآب مع الروح القدس المجد والقوة إلى كل دهر الدهور آمين.

تكملة الرسالة الرابعة[٦٩]:

(٨)

أما بخصوص كلمات الإنجيل التي أشرت إليها في خطابك لى، ففسرها كما نفسرها نحن وليكن ضميرك مستريحًا أيها الحبيب. لأننى أخشى وأنا أقترب من هذه الكلمات فربما ينشغل تفكيرى فى الشرح فلا أستطيع الوصول إلى المعانى العميقة لهذه الكلمات. ولهذا السبب وحده ظننت أنني سوف أتجاوز عن سؤالك واكتفى بما كتبت عن الروح القدس من قبل. ولكن حتى لا ترغمني على الكتابة مرة أخرى

---

٦٧ يقصد أكاكيوس وباتروفيلوس اللذان كانا يقولان إن إرسال الابن للروح القدس يقابل ولادة الابن من الآب.

٦٨ التكميل هو طقس المعمودية (انظر رسالة ١: ٢٩).

٦٩ هذه التكملة مأخوذة عن ترجمة د. جورج بباوى تحت اسم "الرسالة الخامسة عن التجديف على الروح القدس"، التى نشرها سنة ١٩٧٦.



في نفس الموضوع ضغطت على نفسي لكي أكتب القليل الذي أفهمه والذي تعلمته. ولو وصلت إلى إيضاح الموضوع فسوف تشعر أنت بالرضا، أما إذا أخفقنا فسوف لا تلومنا لأنك تعلم حسن قصدنا بل وضعفنا أيضًا.

هذه هي الكلمات التي تسأل عن معناها: بعد أجراء معجزات كثيرة كما ذكر الإنجيل قال الفريسيون "*هذا الإنسان يخرج الشياطين ببعلزبول رئيس الشياطين*" والرب الذي عرف أفكارهم قال لهم "*كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب*" (مت١٢: ٢٤- ٢٥). وبعدها مباشرة قال "*إن كنت بروح الله أخرج الشياطين فقد جاء عليكم ملكوت الله*" (مت١٢: ٢٨). ثم ختم بقوله "*كل خطية وتجديف يغفر أما التجديف على الروح القدس فلا مغفرة له لا في هذا الدهر ولا في الدهر الآتي أيضًا*" (مت١٢: ٣١ـ٣٢).

ومن هنا جاء سؤالك: لماذا يغفر التجديف على الابن؟ ولماذا لا يغفر التجديف على الروح القدس لا في هذا الدهر ولا في الدهر الآتي أيضًا؟

(٩)

لقد قرأت ما كتبه القدماء وخاصة العلامة محب التعب أوريجينوس والعجيب العلامة ثيئوغنوستس[٧٠]. وأطلعت على كتبهم

[٧٠] ثيئوغنستس: من معلّمي مدرسة الأسكندرية اللاهوتية ومديرها من سنة ٢٦٤م ــ ٢٨١م خلفًا لدينيسيوس وتلميذ أوريجينوس. كتب سبع مجلدات عقائدية تفسيرية، وما يذكره القديس أثناسيوس=

لأرى ماذا قالوا بخصوص هذا الموضوع. كلاهما قال أن التجـديف على الروح القدس يحدث عندما يعود الذين حصلوا على نعمة الروح القدس في المعمودية إلى الخطية. ولذلك يتفق كلاهما مع الآخر على عدم وجود مغفرة، مستندين إلى ما ذكره بولس في الرسالة إلى العبرانيين "*أنه من المستحيل لمن استنيروا...*" (عب٦: ٤ـ٦). عند هذه النقطة كل منهما يتحدث مثل الآخر تمامًا.

(١٠)

يشرح أوريجينوس سبب دينونة هؤلاء بهذه الكلمات: الله الآب يحل في كل شئ ويضبط كل الكائنات الحية وغير الحية أي التي لها نعمة العقل والتي ليس لها نعمة العقل. أما الابن فهو يشمل بقوته الذين لهم نعمة العقل فقط مثل الموعظين والوثنيين الذين لم يأتوا بعد إلى الإيمان. أما الروح القدس فهو يسكن فقط في الذين قبلوه في المعمودية. ولذلك عندما يخطئ الموعظون أو الوثنيون فأن خطيئتهم هي ضد الابن فقط، لأنه هو فيهم كما ذكر ـ أوريجينوس ـ ولذلك يمكنهم الحصول على المغفرة عندما يكرمون بنعمة الميلاد الثاني. ولكن عندما يخطئ المعمد فإن الخطية بعد المعمودية موجهة ضد الروح القدس الذي يسكن في الذين عُمِّدوا، ولذلك لا مناص من العقاب.

=هنا هو من المقتطفات التى حُفِظت من كل كتاباته.

(١١)

أما ثيئوغنوستس فهو كما ذكرت يتبع نفس شــرح أوريجينــوس ويقول إن الذي يتخطى الحاجز الأول والثاني يستحق عقوبــة أقــل. ولكن الذي يتخطى الحاجز الثالث لا يمكن أن يحصل على مغفــرة. وهو يدعو التعليم الخاص بالآب والابن بالحاجزين الأول والثاني. أما الحاجز الثالث فهو التعليم الذي يقال في المعمودية والخاص بالروح القدس، ولكي يؤكد ثيئوغنوستس هذا الشرح أقتبس كلمــات الــرب للتلاميذ "*عندي أشياء كثيرة لأخبركم ولكنكم لا تحتملون بعد، ولكــن متى جاء الروح القدس فهــو ســيعلمكم*" (يــو١٦: ١٢ــــ١٣). وقــال ثيئوغنوستس عن هذه الكلمات أن المخلص تحدث مع أناس لا يمكنهم أن يقبلوا التعاليم الكاملة ولذلك نزل إلى مستواهم غير الكامل. أمــا الذين تكملوا فهم الذين قبلوا الروح القدس في المعموديــة. والتعلــيم الكامل هو من نصيب الذين حل فيهم الروح القدس.

لكننا نحذر كل من يقرأ هذه الكلمات من عــدم فهمهــا بــصورة سليمة، إذ لا يجب أن يظن أحد أن التعليم عن الروح القدس أســمى من التعليم عن الابن مادام الابن قد نزل إلى مستوى غير الكــاملين بينما الروح القدس هو "ختم الكمال". كما علينا أيضًا أن نحذر مــن الظن بأن الروح أسمى من الابن طالما أن التجديف على الروح بــلا مغفرة. فإن المغفرة هى لغير الكاملين (غير المعمدين) أما الذين ذاقوا الموهبة السماوية وصاروا كاملين فلا مغفرة لهم ولا صلاة يمكنها أن تسهل لهم المغفرة. هذا ما ذكره هذان الكاتبان المجاهدان.

(١٢)

أما عن نفسي فحسب ما تعلمت، أعتقد أن رأى كل منهما يتطلب فحصاً ومراجعة دقيقة لأن كلمات الإنجيل الخاصة بالتجديف عميقة.

في الحقيقة واضح أن الابن في الآب وبالتالي فهو في الذين فيهم الآب أيضًا. والروح القدس ليس غائباً عن الآب والابن لأن الثالوث القدوس المبارك غير منقسم. وزيادة على ذلك إذا كان كل شئ قد خلق بالابن (يو١: ٣) وفيه كل الأشياء توجد (كو١: ١٧). فهو ليس كائنًا خارج الأشياء التي جاءت إلى الوجود بواسطته. فكل المخلوقات ليست غريبة عنه. هو بالطبيعة في كل شئ وبالتالي كل من يخطئ ويجدف على الابن يخطئ ويجدّف على الآب والروح القدس. ولو كان حميم الميلاد الثاني قد أعطى باسم الروح القدس فقط لكان من المعقول أن نقول إن الذي عمد إذا أخطأ بعد المعمودية يخطئ ضد الروح القدس وحده. ولكن لأن المعمودية تعطي باسم الآب والابن والروح القدس فكل معمد يقبل المعمودية باسم الثالوث وبذلك يصبح واضحاً أن كل من يجدف بعد المعمودية قد جدف على الثالوث الأقدس، وهذا هو التعليم الحقيقي الذي يجب أن نقبله.

ولو كان هؤلاء الذين تحدث معهم الرب أعني الفريسيين قد قبلوا حميم الميلاد الثاني وحصلوا على نعمة الروح القدس، لكان التفسير السابق لكل من أوريجينوس وثيئوغنوستس مقبولاً. لأن الرب لم يكن يتكلم مع أناس ارتدوا وجدفوا على الروح القدس، لأننا إذا تذكرنا، فإن هؤلاء الناس ــ أي الفريسيين ــ لم يكونوا مُعمَّدين، بل حتى

معمودية يوحنا احتقروها ورفضوها (مت٢١: ١٥ـ٢٧). فكيف يمكن اتهامهم بالتجديف على الروح القدس وهم لم يحصلوا عليه بعد؟ ولذلك لم ينطق الرب بهذه الكلمات لكي يعلم عن الخطية بعد المعمودية، كما أنه لم يكن كذلك يهدد بعقوبة أولئك الذين سيخطئون في المستقبل بعد المعمودية، بل قال هذه الكلمات بطريقة مباشرة وصريحة ضد الفريسيين لأنهم أذنبوا فعلاً وسقطوا في هذا التجديف الفظيع. لقد أتهمهم الرب بطريقة واضحة بالتجديف وهم لم يقبلوا المعمودية. إذن فهذه الكلمات ليست موجهة ضد الذين يخطئون بعد المعمودية، خصوصًا وأن الرب لم يكن يشتكيهم بخطايا عامة ولكن بالتجديف بالذات وهناك فرق بين الذي يخطئ ويتعدى الناموس وبين الذي بسبب كفره يجدّف على الله نفسه.

وقبل ذلك أتهم الرب الفريسيين بخطايا أخرى مثل محبة المال التي من أجلها أبطلوا الوصية الخاصة بالوالدين، ورفضوا كلمات الأنبياء وجعلوا بيت الله بيت تجارة، وفي كل هذا أنتهرهم المخلص لكي يتوبوا. أما عندما قالوا أنه ببعلزبول يخرج الشياطين، لم يقل لهم ببساطة أنهم يخطئون بل أنهم يجدفون بصورة شنيعة تستوجب العقاب وتجعل المغفرة مستحيلة لأنهم تمادوا إلى حيث لا حدود لخطئهم.

(١٣)

وزيادة على ذلك، لو كانت هذه الكلمات موجهة ضد الذين

يخطئون بعد المعمودية وهؤلاء لا مغفرة لهم فكيف أظهر الرسول محبة نحو التائب في كنيسة كورنثوس؟ (٢كو٢: ٨). وماذا عن الغلاطيين الذين ارتدوا (غلا٤: ٩) والذين تألم الرسول لكي يولدوا ويتكون فيهم المسيح مرة ثانية؟ (غلا٤: ١٩). أو عندما يقول أنهم كملوا في الروح مرة ثانية. وكيف نلوم نوفاتوس الذي يمنع التوبة ونعترض على قوله بأن الذين يخطئون بعد المعمودية لا مغفرة لهم طالما أن هذه الكلمات الإنجيلية تؤيد تعليم نوفاتوس وهي موجهة إلى الذين يخطئون بعد المعمودية. وحتى كلمات الرسالة إلى العبرانيين (عب٦: ٤ـ٦) لا تمنع توبة الخطاة بل تشير إلى أن معمودية الكنيسة الجامعة تعطي مرة واحدة ولا يمكن أن تتكرر ويجب أن نلاحظ أنه للعبرانيين بالذات كتب الرسول هذه الكلمات لأنه خاف عليهم من التظاهر بالتوبة وأنهم بسبب تمسكهم الشديد بالناموس الموسوى وشريعة التطهير سيظنون أنه توجد فرصة لمعموديات يومية متكررة كما في (مر٧: ٣ـ٤). ولذلك يشجعهم على التوبة ويعلن أن التجديد في المعمودية هو تجديد فريد لا يعاد. وفي رسالة أخرى يقول "*إيمان واحد، معمودية واحدة*" (أف٤: ٥). وهو لا يقول أنه من المستحيل أن يتوب الساقط بل من المستحيل أن نصنع نحن تجديداً لأنفسنا بالتوبة والفرق كبير، لأن من يتوب يكف عن الخطية ولكن أثار جروحه تظل ظاهرة بعكس من يعتمد يخلع العتيق ويتجدد (كو٣: ٩ــ١٠) بل ويولد مرة ثانية بنعمة الروح القدس (يو٣:٣).

(١٤)

وعندما أفكر في هذه الأشياء أجد في الكلمات السابقة عمقًا عظيمًا ولذلك بعد أن صليت بلجاجة للرب الذي جلس عند البئر (يو٤: ٦) ومشى على المياه (مت١٤: ٢٥) أعود إلى تدبير الخلاص الذي تم راجياً أن أكون قادراً على أن أملأ دلوي من معاني الكلمات الإنجيلية التي نبحثها.

كل الكتب الإنجيلية وبالذات يوحنا تخبرنا عن التدبير الإلهي "*الكلمة صار جسداً وسكن فينا*" (يو١: ١٤) وبولس عندما يكتب: "*الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب مساواته لله اختلاساً بل أخلى ذاته وأخذ صورة عبد وصار في شبه الناس*" (في٢: ٦- ٨). ولأنه الإله الذي أخلى ذاته وصار إنسانًا، أقام الموتى وشفى المرضى، وبكلمته حول الماء خمرًا... وهذه كلها أعمال ليست من قدرة البشر. ولكنه جاع وعطش وتألم لأنه أخذ جسداً وكل أعمال الجسد ليست من صفات اللاهوت. كإله قال "*أنا في الآب، والآب فيَّ*"(يو١٤: ١١) ولأنه أخذ جسدًا حقًا وبكل يقين، انتهر اليهود قائلاً: "*لماذا تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلّمكم بالحق الذي سمعه من الله*" (يو٨: ٤٠). ورغم كونه إلهاً إلا أنه لم يقم بهذا المعجزات مرة واحدة لأنه تجسد وكان عليه أن يواجه الاحتياجات والظروف المرتبطة بحياته كإنسان. لكن لم تكن أعمال الجسد تتم بدون اللاهوت أو أعمال اللاهوت تتم بدون الجسد بل على العكس كل أعماله صنعها الرب الواحد، الذي أكمل كل شئ في سر نعمته. وعلى سبيل المثال، بصق على الأرض

كما يبصق كل الناس. لكن لعابه وحده كان فيه قوة إلهية لأنه وهب به البصر لعيني المولود الأعمى (يو٩: ٦). ورغم أنه الإله إلا أنه تكلم بلغة بشرية وقال "*أنا والآب واحد*" (يو١٠: ٣٠). وبإرادته منح الشفاء (مت٨: ٣). ولكن عندما مد يده الإنسانية. أقام حماة سمعان بطرس من الحمى (مر١:٣١) وبنفس اليد أقام من الموت ابنة رئيس المجمع (مر٥: ٤).

(١٥)

وقد أخطأ الهراطقة كل حسب مقدار جهله. البعض منهم نسب كل ما حدث من الرب لجسده (أي كإنسان) وتعاموا عن القول الإلهي "*في البدء كان الكلمة*" (يو١:١). والبعض نسب ما حدث إلى لاهوته فقط، ولم يفهموا القول "*الكلمة صار جسدًا*" (يو١: ١٤). لكن المؤمن الذي يتبع تعليم الرسل يعرف غنى الرب ومحبته للبشر. وعندما يرى أعماله العجيبة الإلهية يمجد الرب الذي ظهر في الجسد. وعندما يرى أعمال الجسد يتعجب ويرى فيها القوة الإلهية التي تعمل... هذا هو إيمان الكنيسة، ولذلك إذا ثبت البعض عيونهم على الجانب الإنساني في حياة الرب وشاهدوه يختبر الجوع والتعب والألم يتحدثون عنه بدون تقوى كمن يتحدث عن إنسان فقط، فيخطئون بذلك خطية عظيمة. وبلا شك أن لم يتأخروا في التوبة يمكنهم الحصول على المغفرة لأن ضعفهم الإنساني هو عذر لهم. وحتى الرسول يمنحهم المغفرة وبطريقة ما يمد يده إليهم لأنهم بالحق يقول "*وبدون جدل،*

عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد" (اتي٣: ١٦). وعندما يـرى البعض أعمال اللاهوت يترددون في الاعتراف بإنسانيته وهذا خطـأ بالغ ويتوهمون عندما يقرأون أن الرب يأكل ويتألم أنه خيال، هؤلاء إذا لم يتأخروا في التوبة سيغفر لهم يسوع لأنهم لا يفهمون أعمالـه الفائقة التي أتمها في الجسد. وإذا فحصنا جهل هـؤلاء وأولئـك أي الذين يخطئون ولهم معرفة بالنـاموس مثـل الفريـسيين أو الـذين يستسلمون للجنون وينكرون وجود الكلمة في الجسد، أو يذهبون إلى أبعد من هذا عندما ينسبون أعمال اللاهوت إلى الشيطان وجنـوده. فأنه من العدل أن تكون عقوبة عدم تقواهم هي عدم المغفـرة لأنهـم اعتبروا الشيطان مثل الله وحسبوا أن من هو بالحقيقة الله، لا شئ في أعماله يدل على ألوهيته، بل أنه الشيطان يستخدم أعوانه.

(١٦)

وإلى هذا الدرجة السفلى من عدم التقوى انحدر اليهود في ذلـك الزمان وبالذات الفريسيون منهم. ورغم أن الرب كان يقوم بأعمـال الآب علانية، فهو أقام الموتى ومنح النظر للعميان وجعـل العـرج يمشون وفتح آذان الصم وجعل الخرس يتكلمون معلنـاً أن الخليقـة العاقلة وغير العاقلة خاضعة له لأنه هو الذي أمر الريح ومشى على البحر، والجموع عاينت هذا وامتلأت بالدهشة ومجـدت الله، إلا أن الفريسيين قالوا إن هذه أعمال بعلزبول، ومن فرط جنونهم لم يخجلوا من أن يعطوا للشيطان قوة الله. وأمام هذا أعلن الـرب بـالحق أن تجديفهم بلا مغفرة، لأنهم عثروا في كل ما يختص بإنسانيته وكـان

لهم في المسيح كإنسان، رأي شرير، وإذ قالوا "*أليس هذا ابن النجار*" (مت١٣: ٥٥) وكيف يفهم الكتب وهو لم يدرسها (يو٧: ١٥)، ومـــا هـــي المعجزات التي "*تعملها لنؤمن بك*" (يـــو٦: ٣٠) و"*لينزل عن صـــليبه الآن لنرى ونؤمن*" (مت ٢٧: ٤٢). وقد احتمل الرب كل هذا، وســـمى الإنجيل مثل هذه الأقوال بالتجديف على ابن الإنسان، وتألم الرب من قساوة قلوبهم (مر٣: ٥) وقال لو كنتم تعلمون ما هو سلامكم (لو١٩:٤٢). وغفر الرب لبطرس عندما تكلمت معه الجارية عن يسوع كإنـــسان وأجاب بطرس بطريقة لا تختلف عن رأي الجارية وكلامها، ولكـــن الرب غفر له عندما بكى بدموع. أما عندما سقط الفريسيون إلى أدنى من كل هذا وتفوهوا بما هو أشر من كل ما سبق، حتى أنهم قالوا إن أعمال الله هي أعمال بعلزبول لم يحتملهم لأنهم جدفوا على روحـــه بقولهم أن من يعمل هذه الأعمال ليس الله ولكنه بعلزبـــول. ولهـــذا السبب استحقوا عقوبة أبدية. وفي الحقيقة أن جرأتهم زادت عن الحد وعندما رأوا ترتيب العالم والعناية به نسبوا الخلق إلـــى بعلزبـــول، حتى أن الشمس صارت بحسب قولهم تحت سلطان الشيطان وأصبح الشيطان هو الذي يحرك النجوم في السماء، لأن كـــل أعمـــال الآب كخالق، عملها يسوع فإذا قالوا أن أعمال يسوع هي أعمال بعلزبول، فكيف إذن يفهمون القول الإلهي "*فـــي البـــدء خلـــق الله الـــسموات والأرض*" (تك١:١) ولكن مثل هذا الجنون ليس غريباً عنهم لأن آباءهم أظهروا نفس الطباع، فبعد خروجهم من مصر صنعوا العجل الذهبي في البرية ونسبوا إليه المعجزات والبركات التـــي أخـــذوها مـــن الله



وقالوا " *هذه آلهتك يا إسرائيل التي أخرجتك من أرض مصر* " (خر٣٢: ٤) وبسبب هذا التجديف الذي ارتكبه أولئك المجانين تم فناء الكل في البرية وأعلن الله أنه في يوم افتقاده "*سوف يجلب شرهم عليهم*" (خر٣٢: ٣٤). وعندما اشتكوا من انعدام الخبز والماء اهتم بهم تمامًا مثل اهتمام المرضعة برضيعها، ولكنهم زادوا الشكوى إلى الحد الذي وصفه الروح القدس في المزامير "*أبدلوا مجده بصورة العجل الذي يأكل الحشيش*" (مز١٠٥: ٢٠). وعندما اجترأوا على ارتكاب مثل هذا العمل الذي لا مغفرة له ضربهم الرب كما يقول الكتاب بسبب العجل الذي سبكه هارون (خر٣٢: ٣٥).

(١٧)

وتصرف الفريسيون بنفس الوقاحة ولذلك أخذوا من الرب عقوبة مماثلة بل هي عقوبة مثل عقوبة بعلزبول نفسه الذي تحدثوا عنه، كي يحترقوا معه بنار أبدية.

ولم يكن الرب يقصد بما قاله في الإنجيل أن يقارن بين التجديف الموجه ضده والتجديف الموجه للروح القدس ولا أشار ولو من بعيد أو بطريق غير مباشر إلى أن الروح القدس أسمى منه. ولا لأن التجديف على الروح أخطر، نطق الرب بهذه الكلمات ــ حاشا ــ لأنه علم من قبل أن كل ما هو للآب فهو للابن، وأن الروح يأخذ من الابن وبذلك يمجد الابن (يو١٦: ١٤ــ١٥). والروح لا يعطي الابن بل

الابن هو الذي يعطي الروح وقد أعطاه لتلاميذه وبهم يعطيه لمن يؤمنون به بواسطتهم. ولم يكن الرب يقارن نفسه بالروح عندما قال هذه الكلمات، كما أنها لا تعني أن الروح أسمى من الرب، فهذا سوء فهم لكلمات المخلص. والتجديف بنوعيه موجه بالضرورة للروح القدس. والنوع الأول من التجديف محتمل أما النوع الثاني فهو خطير. وقد ارتكب الفريسيون نوعي التجديف لأنهم رأوه إنسانًا فأهانوه بقولهم: "*من أين له هذه الحكمة*" (مت١٣: ٥٤). وقولهم: أنت لم تبلغ بعد من العمر ثلاثين سنة فكيف رأيت إبراهيم (يو٨: ٥٧). ورغم أنهم رأوا أعمال الآب فيه إلا أنهم لم يرضوا بألوهيته. وبدلاً من هذا قالوا إن بعلزبول فيه، وإن هذه الأعمال هي أعمال بعلزبول، وبذلك أصبح تجديفهم بنوعية موجه ضده. والنوع الأول أقل خطورة بسبب العذر الواضح وهو إنسانيته، أما النوع الثاني فهو أكثر خطورة لأنه إهانة موجهة إلى ألوهيته. ومثل هذا التجديف الخطير هو الذي استدعى عقوبة عدم المغفرة. ومن الواضح أن الرب كان يشجع التلاميذ عندما قال لهم "*إذا كانوا قد دعوا رب البيت بعلزبول*" (مت١٠: ٢٥) وأكد هنا أنه رب البيت الذي جدف عليه اليهود.

(١٨)

أما اليهود فعندما قالوا عنه "بعلزبول"، فهم لم يهينوا أحدًا سوى الرب يسوع وهذا واضح من التعبير نفسه. لأن كلمة "الروح" في نص الإنجيل "*أما التجديف على الروح*" (مت١٢: ٣١) تشير إلى الرب

نفسه. وكل هذا القول يقصد به نفسه. لأن "رب البيت" يراد به المسيح أي رب الكون كله. وأنا أرجوك أن لا تتضايق من هذا التكرار فهو لازم إذا كنا نحرص على الوصول إلى المعنى الدقيق للنص ولذلك سأعود إلى ما ذكرته سابقاً أن الجوع والتعب والنوم والإهانات كلها خاصة بناسوته، أما الأعمال الباهرة التي كان يقوم بها الرب، فلم تكن أعمال إنسان بل أعمال الله. لذلك إذا ما شاهد بعض الناس الأشياء الخاصة بالإنسان مثل الجوع... الخ، وأهانوا الرب لأنه حسب ظنهم مجرد إنسان، فقد حسبوا مستحقين لعقوبة أقل من عقوبة أولئك الذين ينسبون أعمال الله للشيطان. لأن هؤلاء لا يكتفون بإلقاء الأشياء المقدسة للكلاب (مت٧: ٦)، بل يجعلون الله مساوياً للشيطان ويدعون النور ظلمة (إش٥: ٢٠). لذلك سجل مرقس أن تجديف اليهود بلا مغفرة، "*وأما من جدف على الروح القدس فلن يغفر له بل هو مستحق دينونة أبدية، لأنهم قالوا أن به روحًا نجسًا*" (مر٣: ٢٩ــ٣٠).

والرجل الأعمى منذ ولادته عندما أبصر، شهد بأنه لم يسمع من قبل أن أحداً فتح عيني مولود أعمى، ولذلك قال "*إذا لم يكن هذا الإنسان من الله لا يستطيع أن يفعل شيئًا*" (يو٩: ٣٢ــ٣٣). حتى الجموع نفسها عندما امتلأت من الإعجاب بما فعله الرب قالت: "*إن هذه ليست أعمال من فيه شيطان هل يقدر شيطان أن يفتح أعين العميان*" (يو١٠: ٢١). أما هؤلاء الذين امتلأوا من معرفة الناموس، أي الفريسيون وهم الذين يلبسون العصائب العريضة (مت٢٣: ٥)،

ومزهوون بمعرفتهم بالناموس أكثر من باقي الناس(يو٩: ٢٤ـ٢٩)، كان من المفروض عليهم، بسبب هذه المعرفة، أن يخجلوا ولكن كما هو مكتوب عنهم أنهم "*تعساء لأنهم ذبحوا للشيطان وليس لله*"(تث٣٢: ١٧). وعندما قالوا إن بالرب شيطانًا وإن أعمال الله هي أعمال الشيطان لم يكن لديهم أي أسباب مقنعة تدفعهم إلى هذا الاعتقاد. والدافع الحقيقي لمثل هذا التجديف هو رغبتهم في أن ينكروا أن الذي يعمل هذه الأعمال هو الإله ابن الله. وبالحقيقة لقد أكل أمامهم وشاهدوا جسده وتأكدوا أنه إنسان فكان لديهم فرصة لأن يقتنعوا من أعماله أن الآب فيه وأنه في الآب. أما لماذا لم يقتنعوا؟ فلأنهم لم يشاءوا.

وفي الحقيقة لقد سكن بعلزبول في الفريسيين. وكان بعلزبول هو الذي يتكلم فيهم. ولذلك قالوا عن المسيح أنه مجرد إنسان، بسبب ناسوته، دون الاعتراف به إلهًا بسبب أعماله التي هي أعمال الله. ولكن بهذه السقطة ألّهوا بعلزبول الذي سكن فيهم، والذي في النهاية سوف يعاقبون معه في النار إلى الأبد.

(١٩)

ودراستنا للنص توضح لنا أنه يعني نوعي التجديف اللذين أشرنا إليهما سابقًا. ذلك أن المخلص أشار إلى نفسه عندما قال "ابن الإنسان" ولكنه كان يعني أيضًا نفسه عندما تحدث عن "الروح". والاسم الأول "ابن الإنسان" يوضح تجسده، والاسم الثاني "الروح" يوضح طبيعته الروحية غير المادية ولاهوته. وفي الواقع أن الخطية التي يمكن



غفرانها هي العثرة الناتجة عن رؤية ناسوته، أي ما يتعلق به كابن الإنسان، ولكنه أوضح أن التجديف الذي لا يمكن مغفرته هو التجديف على "الروح" أي على الطبيعة الإلهية.

وقد لاحظت أن التعبير "الروح" جاء بالمعنى الذي نتحدث عنه في إنجيل القديس يوحنا عندما كان الرب يتحدث عن تقديم جسده. ولما رأى أن كثيرين عثروا بسبب ما ذكره عن جسده، قال لهم: " *هل هذا يعثركم؟ وماذا ستفعلون عندما تشاهدون ابن الإنسان صاعدًا إلى حيث كان سابقًا؟ الروح هو الذي يحيي أما الجسد فلا يفيد شيئًا. الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة*" (يو٦: ٦٢ــ٦٣) وقد تحدث الرب هنا عن "الجسد والروح" وكما هو واضح كان يتحدث عن نفسه. وميز بين الجسد والروح لكي يتمكن الذين سمعوه من الإيمان ليس بما يرون فقط أي بجسده، بل يمكنهم أيضًا أن يؤمنوا بغير المنظور أي الروح أو لاهوته لكي يؤمنوا أن ما يتكلم عنه ليس الجسديات بل الروحيات.

ولنسأل كم عدد البشر الذين يمكن أن يقدم لهم جسده المادي؟ وماذا عنه كغذاء للعالم كله؟ لهذا السبب تحدث عن صعود ابن الإنسان إلى السماء لكي يبعد عن أفكارهم كل التصورات المادية عن جسده، ولكي يفهموا جيدًا بدون أي تصورات مادية أن جسده الذي يتكلم عنه هو طعام سمائي يأتي من فوق كغذاء روحي يعطيه هو بنفسه. وحقًا قال: " *الكلام الذي أكلمكم به روح وحياة*" (يو٦: ٦٣) أي أن ما أعلنه، وما سيعطيه لخلاص العالم هو جسده، ولكن هذا الجسد

عينه بما فيه من دم سوف يعطي لكم بواسطتي روحيًا وكطعام وبطريقة روحية سوف يوزع على كل واحد منكم لكي يصبح عربون القيامة والحياة الأبدية.

واستعمال كلمة "روح" جاء بنفس المعني في حديث الرب مع السامرية عندما وجه فكرها إلى المعنى الروحي ورفع نظرها إلى الأمور غير المادية بقوله لها "الله روح" (يو٤: ٢٤)، لكي يستقر في قلبها الفهم الصحيح عن الله، أنه ليس من طبيعة مادية محصورة في مكان بل أنه روح. وهذا ما يعنيه كلام النبى الذي يقول عندما يشير إلى الكلمة وقد تجسد: "روح حياتنا هو المسيح الرب"[٧١]. وحتى لا يعثر أحد ما بالشكل الخارجي الملموس ويظن أن الرب هو مجرد إنسان، جاءت كلمة "الروح" لتؤكد أن الذي في الجسد هو الله.

(٢٠)

وهكذا يبدو لنا أمران ظاهران تمامًا. الأول هو حالة من يرى الرب في الجسد ويعتبره مجرد إنسان ويقول بعدم إيمان "*من أين الحكمة لهذا الإنسان*" (مت١٣: ٥٤). وكل من يتكلم بهذا يخطئ بدون شك ويجدف على ابن الإنسان والثاني يرى أعماله التي تتم بالروح القدس ويقول إن صانع هذه الأعمال ليس الله ولا ابن الله وينسب هذه الأعمال لبعلزبول، مثل هذا ينكر لاهوته، وهذا ما يظهر واضحاً عدة مرات في الإنجيل لا سيما في النص الذي نشرحه.

---

[٧١] غالبًا يشير إلى مراثى إرميا٤: ٢٠ الذى يقول: "*روح أنوفنا، مسيح الرب*".



ومرة أخرى، نكرر، عندما يوصف الرب بأنه "ابن الإنسان" فهو نفسه يستخدم هذا اللقب لتأكيد بشريته، ولكن عندما يتحدث عن الروح أي الروح القدس الذي به يصنع كل هذه الأعمال، أى (الروح) الكائن فيه، يقول بعد إتمام أعماله الباهرة: "*إذا كنتم لا تؤمنون بي فعلى الأقل آمنوا بالأعمال التي أعملها لكي تعرفوا أنني في الآب والآب فيَّ*" (يو١٠: ٣٨).

أما عن موضوع موته عنا بالجسد، عندما صعد إلى أورشليم (مت٢٠: ١٨) لهذه الغاية، فقد قال لتلاميذه: "*ناموا الآن واستريحوا لأن الساعة قد أتت وابن الإنسان سوف يسلم لأيدي الخطاة*" (مت٢٠: ٤٥). وحقًا أن أعماله تجعل أي إنسان يؤمن أنه بالحقيقة الله، ولكن موته يؤكد أيضًا أنه بالحقيقة تجسد. ولهذا السبب قال إن الذي سيسلم لأيدي الناس الخطاة هو ابن الإنسان، لأن الكلمة غير مائت ولا يمكن لمسه بل هو في جوهره الحياة نفسها. ولكن عندما لم يؤمن الفريسيون، بأعمال الرب ولا بالأعمال التي كان أبناؤهم يقومون بها، وبخهم الرب بهذه الكلمات (مت١٢: ٢٧ـ٢٨). وإشارته هنا إلى "الروح" أو "روح الله" لا تعني أنه أقل من الروح أو أن الروح هو الذي كان يعمل هذه الأعمال بواسطته ولكن لكي يوضح أنه كلمة الله الذي يعمل كل هذه الأعمال بالروح ولكي يعرف سامعوه أنهم عندما ينسبون هذه الأعمال لبعلزبول، بينما هي أعمال الروح فأنهم يهينون الذي يعطي الروح أي الابن. وحقًا لقد أعلن في نص الإنجيل (مت١٢: ٢٧) أنهم قد نزلوا إلى أسفل الدرجات وأنهم بمعرفة يجدّفون، وليس

بسبب الجهل بل هم يجدفون رغم أنهم يعرفون أن الأعمـال التـي يعملها هي أعمال الله، ولكن هؤلاء المجانين نسبوا هذه لبعلزبول، أى كأنهم يقولون إنها تمت بواسطة روح نجس.

(٢١)

وكيف يستطيع أناس لهم مثل هذه الوقاحة أن ينتقـدوا الـوثنيين الذين يصنعون الأصنام ويدعونها آلهة؟ حقًا إن جنون الفريسيين مثل جنون الوثنيين. كلاهما يفعل ذات الـشيء وإن كـان الـذي فعلـه الفريسيون أكثر خطورة، لأنهم بعد أن أخذوا الناموس الذي يحذرهم من عبادة الآلهة الغريبة يتجرأون ويحتقرون الله بمخالفتهم للناموس.

ولكن بعد هذا التجديف ماذا سيفعلون عندما يسمعون إشعياء النبي وهو يخبر عن علامات مجيء المسيح مثـل رد البـصر للعميـان، ومشى العرج، ونطق الخرس، وإقامة الموتى، وشفاء البرص، وفتح آذان الصم؟ من هو صانع كل هذه المعجـزات؟ إذا قـالوا الله الآب فأنهم يدينون أنفسهم بعدم قبول الرب لأن ما رآه النبي وأخبر عنه هو ما فعله الرب يسوع عندما كان على الأرض في الجسد. ولكـن إذا أصيبوا بالعمى وقالوا هذه الأعمال هـي أعمـال بعلزبـول فـأنهم ينحدرون شيئًا فشيئًا إلى عدم التقوى، خصوصًا عندما يقرأون "*من الذي أعطى النطق للإنسان ومن الذي خلق الصم والخرس والـذين لهم عيون والعميان*" (خر٤: ١١)، وأعمال أخرى مشابهة، وربما قادهم جنونهم إلى الإدعاء بأنه حتى هذه الأعمـال نفـسها هـي أعمـال



بعلزبول، وهذا هو التطور الحتمي لفكرهم، لأنهم إذا نسبوا إليه نعمة البصر فإنه ينسبون إليه أسباب العمى أيضًا حيث إن كلمات الكتاب المقدس يؤكد أن الذي قام بالخلق هو الذي قام بالمعجزات وأنه هو صاحب كل الأعمال. وبالتالي سيصلون إلى نتيجة رهيبة وهي أن خالق الطبيعة البشرية هو بعلزبول لأن من صفات الخالق أن يكون له سلطان على خليقته. وهذا يؤكده موسى: "*في البدء خلق الله السموات والأرض... وخلق الإنسان على صورته*" (تك١:١؛ ٢٧)، ودانيال أعلن لداريوس: "*أنا لا أعبد أصنامًا مصنوعة بيد الإنسان بل الله الحي الذي خلق السماء والأرض والذي له سلطان على كل جسد*" (تتمة سفر دانيال: ٥). وإذا غيروا فكرهم وتصوروا أن ضعفات الجسد مثل العمى والعرج هي عقوبة من الخالق بينما الشفاء وعمل الرحمة هو من بعلزبول فإن مجرد مناقشة هذا الرأي هو الجنون بعينه. وطريقة تفكير هؤلاء الناس هي طريقة المجانين والسكارى وعديمي التقوى لأنهم أصبحوا ينسبون ما هو حسن أي معجزات الرحمة لبعلزبول وليس لله. ومثل هؤلاء الناس لا توبخهم ضمائرهم عندما يغيرون تعاليم الكتب المقدسة طالما أنهم يصلون إلى غايتهم وهي إنكار مجيء المسيح فى الجسد.

(٢٢)

وكان من الأفضل لهؤلاء الناس الأشرار الامتناع عن إهانة المسيح "كابن الإنسان" بسبب أن له جسدًا بشريًا والاعتراف به كإله

حقيقي بسبب معجزاته، ولكنهم فعلوا العكس تمامًا، لأنهم عندما أدركوا أنه إنسان احتقروه، وعندما عاينوا معجزاته الإلهية أنكروا لاهوته ونسبوا هذه المعجزات للشيطان. وظنوا أنهم بمثل هذه الوقاحة وهذا التجديف سيهربون من دينونة الكلمة الذي أهانوه. ولتتذكروا أن العرافين والمنجمين وسحرة فرعون عندما حاولوا تقليد معجزات موسى عجزوا وانسحبوا معلنين أن هذه هي إصبع الله (خر٨: ١٩). وبينما أبصر الفريسيون والكتبة يد الله وهي تعمل بل عاينوا معجزات أكثر وأعظم قام بها المخلص، قالوا إن الذي فعل كل هذه المعجزات هو بعلزبول، مع أن بعلزبول هو إله السحرة الذين اعترفوا بأنهم عاجزون عن القيام بأي عمل خارق وحتى أقل من أعمال موسى، فمن ذا الذي يمكنه أن يقبل إهانة الفريسيين أو فسادهم الذي سبق الأنبياء وأدانوه؟

وإذا قارنا بين خطية الفريسيين وذنوب أهل سدوم يصبح أهل سدوم بالنسبة إلى الفريسيين أبرارًا. بل لقد زادوا في جهلهم أكثر من الوثنيين وغباوة سحرة فرعون ولا مثيل لهم في جرمهم إلا الآريوسيين لأنهم معًا سقطوا في نفس الفساد. لأن اليهود عندما رأوا أعمال الآب التي يقوم بها الابن نسبوها لبعلزبول، والآريوسيون عندما رأوا نفس الأعمال نسبوها لمخلوق، لأنهم قالوا إن الابن خُلِق من لا شئ، وأنه مر وقت لم يكن فيه الابن كائنًا، والفريسيون تذمروا عندما رأوا الرب في الجسد وقالوا "*لماذا وأنت إنسان تجعل نفسك إلهًا*" (يو١٠: ٣٣)، وهؤلاء الآريوسيون أعداء المسيح عندما رأوه ينام

ثم يتألم جدفوا عليه بهذه الكلمات "الذي يعاني من كل هـذه الآلام لا يمكن أن يكون الإله الحقيقي ولا من ذات جوهر الآب".

وأخيرًا أن كل من يريد أن يفحص جنون الجماعـة الأولـى أو الثانية سوف يرى أنهم في النهاية سوف يستقرون في وادي الظـلام (تكوين ١٤: ٨).

(٢٣)

ولهذا السبب أعلن المخلص أنه بالنسبة للجماعتين، توجد عقوبـة واحدة لهذه الجريمة الواحدة وهي عدم المغفرة "*أما الذي يجدف على الروح القدس فلا مغفرة له لا في هذا الدهر ولا في الـدهر الآتـي*" (مت١٢: ٣٢). وهذا صواب تماماً لأن الذي ينكر الابن، لا يجـد مـن يسرع لمصالحته مع الآب. وأي حياة أو راحة سـتبقى لمثـل هـذا الإنسان الذي يرفض ذاك الذي قال "*أنـا هـو الحيـاة*" (يـو١٤: ٦) و"*تعالوا إليَّ يا* جميع *المتعبين وثقيلي الأحمال وأنا أريحكم*" (مـت١١: ٢٨). فإذا كانت هذه هي عقوبة المجدفين وهي عقوبة كل من يعتنـق عقيدتهم في المسيح، فإنه من المؤكد أن الذين يعبـدون الـرب فـي الجسد وفي الروح ولا ينكرون أنه ابن الله وأنه تجسد بل يؤمنون في وقت واحد أنه "*في البدء كان الكلمة والكلمة صار جسدًا*" (يو١:١، ١٤) سوف يملكون مع المسيح إلى الأبد في السماء حسب مواعيـد ربنـا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي قال "*يذهب هؤلاء إلـى عـذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية*" (مت٢٥: ٦٤).

لقد كتبت هذا الشرح المختصر حسبما تعلمت، أما بالنسبة لــك، فأرجو أن تقبل هذا الشرح ليس كتعليم كامل وتام في ذاته بل كبداية تحتاج إلى أن تكملها معتمدًا على نــصوص الأناجيــل والمزاميــر. وأربط حزمة الحق، حتى عندما يراك الناس وأنت تحملها يقولــون: "*بالفرح حاملين أغمارهم*" (مز١٢٥: ٦). ليكن لنا هذا الفرح في يــسو المسيح ربنا الذي به وله مع الآب والروح القــدس المجــد والقــوة والملك في دهر الدهور. آمين.









